

## المكان في شعر محمود درويش

م. هيام عبد الكاظم ابراهيم

جامعة القادسية – كلية الادارة والاقتصاد

### الخلاصة

يعدّ الشاعر محمود درويش من أبرز الشعراء الفلسطينيين الذين يتسم شعرهم بالارتباط بالمكان ، وتعكس اشعاره علاقة متينة بالمكان منذ نزوح عائلته وهو تحت سن العاشرة ، ثم الخروج من الوطن المغتصب ، وعلاقة درويش بالمكان بارزة لها تفاعلاتها ضمن الخطاب الشعري ، ويتسم المكان في شعر درويش بوصفه قضية انسانية .

### المقدمة

يمثل المكان الشعري عنصرا اساسيا في بناء القصيدة لدى محمود فيوظفه الشاعر لتجسيد رؤيته الشعرية تجاه الواقع الانساني فضلا عن تصوير علاقته بالمكان فهي علاقة وجود وعلاقة مصير وتتشكل القصيدة الدرويشية مرسومة على امتداد المكان الفلسطيني وانقسمت الدراسة على ثلاثة مباحث : عني اولهما الموسوم بـ(المكان / الوطن) ويدرس تجسيد الامكنة الفلسطينية وصورها الشعرية ونظرة الشاعر لتلك الامكنة بحسب رؤيته الشعرية وينتظر المبحث الثاني والموسوم بـ (المكان – المنفى) الى بعض الاماكن التي هاجر اليها درويش بعد معاناته المريرة مع الاحتلال فضلا عن تصوير وتجسيد الشاعر الامكنة التي طالها دمار الاعداء والحق الاذى لتلك الاماكن والتي تعد ملهمة الشعراء والمبحث الثالث الموسوم (المكان المثالي) فيهتم بدراسة المكان المثالي في شعر درويش ويتجسد بـ(الاندلس) ففي الماضي ضاع ذلك الحلم العربي (الاندلس) وفلسطين هي الاندلس الحاضر فضلا عن كيفية تضمينها في الشعر .

المبحث الاول

١. مفهوم المكان

هو الموضوع ، ووردت هذه اللفظة في المعاجم اللغوية بمعان ودلالات متقاربة ، ويعني المكان " الموضوع والجمع أمكنة وامكن ...، وتقول العرب : كن مكانك واقعد مقعدك ، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان او موضوع منه" (١)

ووردت هذه المفردة في آيات الذكر الحكيم في سورة مريم ، ووفقاً للتعبير القرآني وردت بمعنى الموضوع او المستقر (٢) وذلك في قوله تعالى : (( واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً ... )) (٣) وكذلك قوله تعالى : (( واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب... )) (٤)

ويرى افلاطون أن المكان المادي للأشياء الحاوي للأشياء (٥) وعرفه ( ارسطو ) بأنه ( نهاية الجسم المحيط ) (٦)

أما المكان من وجهة نظر علماء الفلسفة العربية الاسلامية فقد اشار ( الكندي ) للمكان وعرفه بأنه ((التقاء افقي المحيط والمحاط به)) (٧) ووصفه (الحسن ابن الهيثم) بأنه هو الابعاد (٨) ، واخذ الاهتمام بالمكان يكتسب طابعة العلمي ، حين غدا امتداداً للجسد عند المفكرين الاجتماعيين والنفسانيين على حد سواء ، وان (( اصفاء صفات مكانية على الافكار المجردة يساعد على تجسيدها ، وتستخدم التعبيرات المكانية بالتبادل مع المجرد مما يقربه الى الافهام ، وينطبق هذا التجسيد المكاني على العديد من المنظومات الاجتماعية والدينية والسياسية والاخلاقية والزمنية )) (٩) والمكان الشعري مكتشف جمالي تقترضه الرؤيا الشعرية المتصلة عميق الاتصال بالحلم الطاغي على النفس لحظة الابداع ، فهو بذلك علاقة موقع داخل العالم المادي وخارجه في آن معاً ، انه حقيقي بقدر ماهو حالة من حالات النفس ، وهو يتشكل عن طريق اللغة التي تمتلك بدورها طبيعة مزدوجة فيزيقية مادية عبر العلاقة البصرية - وتجريدية ذهنية - عبر الاحالة الدلالية لكن المكان الشعري لا يعتمد على اللغة وحدها ، وانما يحكمه الخيال الذي يشكله بوساطة

اللغة ، على نحو يتجاوز سطح الواقع الى ماقد يتناقض معه ، غير أنه يظل - مع ذلك - واقعاً محتملاً (١٠).

## ٢. المكان / الوطن في شعر محمود درويش

ان الشاعر صديق المكان وابن لأحواله ، وان مهمة الشاعر في التجريب هي الاكتشاف ، والمكان الواحد من اكتشافات الشاعر في التجربة ، ومن خلاله بإمكان الشاعر ان يجد إضافات جمالية تظل غائبة عن بصيرة الجمهور لولاه ، والمساحة النفسية للمكان تنبثق من استجابة الخيال الممتزج بالعاطفة تجاه المكان المدرك ، وكلما تزداد قيمة المكان تتنامى معها مساحته النفسية ، والاثرة في المكان تمثل قيمة نفسية تتمركز في تشبث الذات به ، والبقاء ضمن ابعاده الآسرة ، والتلذذ بهباته النفسية التي تفرض نفوذها على الذات الرائية بيسر واقتدار ، فالشاعر يتسامى بمكانه البسيط الاليف الى صورة كونية (١١) .

وللمكان خصوصية منفردة في شعر درويش وشعره يعبر عن الروح الشعبية الفلسطينية في علاقتها مع المكان والتاريخ الفلسطيني بوصفها منجزاً وطنياً عن تاريخ هذا الشعب مع المنطقة العربية الشقيقية ، وكذلك العلاقة بين الحضارات الانسانية قديماً وحديثاً (١٢)، وأشار محمود درويش في رسائله الى سميح القاسم عن افتقاده للمكان الاصلي بقوله ((المكان ، المكان أريد أي مكان في مكان المكان لاعود الى ذاتي ، لاضع الورق على خشب صلب ، لاكتب رسالة أطول ، لأعلق لوحة على جدار لي ، لأرتب ملابسي ، لأعطيك عنواني ، لاري نبنة منزلية ، لازرع حوضاً من النعناع ، لأنتظر المطر الاول ... )) (١٣)

قسم درويش قصيدة (مزامير) أقساماً عدة حسب المزامير التوراتية، وفيها يتجسد حزن الشاعر بسبب الأسى وحلمه بالسلام في ارض القدس ، فيقول في المزامير : (١٤)

طوبى لمن يعرف حدود سعادتى،  
طوبى للرب الذي يقرأ حريتي،  
طوبى للحارس الذي يحبس طمأنينتي  
في عينيه الساهرتين  
طوبى لمن يفهم ما معنى ان أكون  
السجين والسجان في آن واحد  
أيتها النوافذ البعيدة كالحب الاول  
أنا لا اقيم في بابل  
بابل هي التي تسكن في تقاطيع وجهي  
اينما ذهبت  
ويا ايتها النوافذ البعيدة كالحب الاول  
أنا لست منقياً  
في قلبي نفيت المنفى، وذهبت  
المطر يتساقط في الخارج  
بلا سبب  
والقحط ينتشر في الداخل لاسباب كثيرة  
فمن يعيد ترتيب الفصول  
ومن يعلمني مراثي ارميا  
في طرق اورشليم التي لعنها الرب  
لكي اعلن للمرة الاولى  
تاريخ ميلادي  
من؟ (١٤)

يبدو كأن الشاعر لجأ في تلك المرحلة الاولى الى توظيف المكان التوراتي بمثابة مرافعة عن الحاضر الفلسطيني المبدد والممزق ، فهو يوظف رموز التاريخ الاسطوري ، وهو يتعامل مع المدن في

تاريخها الاسطوري وفي انعكاسات أصولها المعاصرة ، ويتحدث درويش عن تلك الادران التي تكتنف المكان (أورشليم) التي (لعنها الرب) وذلك الوحل الدنس الذي يتمرغ فيه الصهاينة، وتجدر الإشارة الى أورشليم التي تعتبر من الاماكن المقدسة لكن الشاعر جردها من كل ماهو اثير لديه ، فو (( مكان كهذا لم يعط الشاعر شيئاً - مما يتوقعه فيه - يطمئنه اليه ، بل على العكس من ذلك تماماً ، فلقد جرده من كل ماهو أثير لديه واستنفذ كل مضامين عالمه الجميل ، بل واخذ منه اكثر مما اعطاه ، .. ولم يره - بوصفه إطاراً حضارياً - إلا مكاناً للفساد والدنس ، الذي ينبغي تحطيمه وهدمه والثورة عليه))<sup>(١٥)</sup>

وظف درويش التمجيد التوراتي إذ يمتزج فيه النشاء الديني بقوله ( طوبى للرب) كما يمتزج مع البعد الدنيوي بقوله : (طوبى لمن يعرف ، وللحارس ، ولمن يفهم)

ويقول الشاعر :

إني أتأهبّ للانفجار  
كما تتأهبّ الآبار اليابسة  
للفيضان  
ونغني القدس  
يا أطفال بابل  
يامواليد السلاسل  
ستعودون الى القدس قريباً  
وقريباً تكبرون  
وقريباً تحصدون القمح من ذاكرة الماضي  
قريباً يصبح الدمع سنابل  
آه يا أطفال بابل  
ستعودون الى القدس قريباً  
قريباً تكبرون  
قريباً  
قريباً هلولوا  
هلولوا<sup>(١٦)</sup>

وتطرق الشاعر لقضية المنفى اليهودي والفلسطيني في قوله ( بابل ، المنفى ) إذ لا يغرب عن الازدهان السبي البابلي لليهود على يد الملك البابلي (نبوخذ نصر) ثم يتناقض الشاعر مع (إرميا) وهو واحد من كهنة بني اسرائيل في بكائياته على دمار القدس والسبي البابلي ، فالقدس عاقبها الرب أعظم من عقاب سدوم ، وغدر بها اصحابها ، فالشاعر يرفض الشكوى والبكاء على أطلال القدس ، فهو يتاهب للانفجار والعودة الى وطن الروح الذي يعني له الهوية الفلسطينية ويخاطب (اطفال بابل ) للإشارة الى السبي (النفي) والتهجير القسري للدلالة على مأساة أطفال فلسطين الذين نفاهم الاحتلال الاسرائيلي لكن ستكبر الاطفال وتكبر في ذاكرتهم فردوسهم المفقود ، ثم يكبر قوله ( قريبا تكبرون ) ممتزجة بالتسييح المقدس للرب (هللوا) ، واكتسبت القدس في القصيدة أبعاداً مانية تابعة لافعال الحركة حيث يقول :

(نرسم القدس، نغني القدس ، نكتب القدس ) وفضلاً عن ذلك وظف درويش رموزاً تتعلق بتاريخ اليهود ليكسبها بعداً فلسطينياً ، وان سبي اليهود الى بابل في التاريخ صار سبباً وقضية للفلسطينيين ، ومن ناحية اخرى فقد عبر الشاعر عن العودة بقوله : (يا اطفال بابل / يامواليد السلاسل / ستعودون الى القدس قريباً ) وفي الزمن الماضي هجر ابناء اليهود في السبي البابلي ثم عادوا من ذلك السبي ، وكذلك الحال مع ابناء فلسطين ، فلا بد من العودة بعد التهجير والأسى ، وقد برع الشاعر في توظيف رمزية السبي البابلي واستخدم الشاعر التكرار : (أطفال بابل ، يامواليد السلاسل ، ستعودون قريباً وقريباً تكبرون ، قريباً تحصدون ، قريباً يصبح الدمع سنابل ، ستعودون قريباً ، قريبا ، تكبرون ، قريبا ، هللوا ، هللوا) إذ تحضر هذه المشكلة اللغوية - الجمالية في شكل تكرار لفظي او الكلمة على مستوى تركيب لغوي - شعري - ايقاعي ممتد او مقطعي ، ويعطي ذلك التوكيد التكراري تكثريراً للمعنى.<sup>(١٧)</sup>

ويستذكر الشاعر (الجليل) في قصيدة ( هل قتلوك في الوادي ) يقول :

طلعت من الوادي

يقال تضاعل الوادي وغاب

وجمالها السري لف سنابل القمح الصغيرة

حل اسئلة التراب

هل تذكرون الصيف يا ابناء جبلي

ياكل ازهار الجليل

وكل أيتام الجليل  
هل تذكرون الصيف يصعد من اناملها  
ويفتح بنفسجة لجارتها  
عطشت ،

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

لم اعرف بالحب عن كذب  
فليعترف موتي  
وطفولتي - طروادة العرب  
تمضي .. ولا تأتي  
كل الخناجر فيك ،  
فارتفعي  
ياخضرة الليمون  
وتوهجي في الليل  
واتسعي  
لبكاء من يأتون  
الريح واقفة على صخر<sup>(١٨)</sup>

وبالرغم من استحضار درويش لذكرات المكان وجماله وروعته ونضارته ، فإنَّ الشاعر يعد فلسطين طروادة العرب التي عبث فيها المحتل خراباً وعنفاً ودماءً وارهاباً وتتجسد الامكنة الفلسطينية في شعر درويش بوصفها (الوطن/ الام / الجمال) وتتردد التفاصيل المكانية في شعره ممثلة بعذوبة جميلة ، ويرسم الشاعر ( الجليل ) بريشته الشعرية الماهرة ، وتتجسد بوصفها عدن الزمن الماضي ، زمن الطفولة والبراءة والسلام ، واعتزاز درويش بالمكان وتعلقه به ينبع من حبه واعتزازه بفلسطين الضائعة .

وفي قصيدة (عائد الى يافا) يصف درويش شخصية اللاجئ الشهيد وأثره الفاعل في تغيير سيرة المكان ، وهو يمضي الى يافا والناصره ، بعد رفضه أمكنة اللجوء بمقاهي الرصيف ، والموانئ والخيام والمطارات وبالإستشهاد يتم استرداد الارض ويرسم درويش ذلك المشهد قائلاً :

هو الآن يرحل عنا

ويسكن يافا

و يعرفها حجرا حجرا

و لا شيء يشبهه

و الأغاني

تقلده

تقلد موعده الأخضر

هو الآن يعلن صورته

و الصنوبر ينمو على مشنقة

هو الآن يعلن قصته

و الحرائق تنمو على زنبقة

هو الآن يرحل عنا

ليسكن يافا

ويافا حقائب منسية في مطار

ونحن بعيدون عنه (١٩)

اما في قصيدة (المزمور الحادي والخمسون بعد المائة ) فقد وظف درويش اشارات توراتية مثل لفظة (مزمور) والتسبيح او الترانيم المقدس للرب (هللوا) ويمزج ذلك بالصليب المقاتل المناضل ، ورفضت النذل والضعف فضلاً عن دلالات الصليب المقدسة المقترنة بالمسيح الراض للظلم والاضطهاد وتتمحور تلك الدلالات حول اورشليم التي أخذت شكل زيتونة دامية :



صوت حريتي قادم من صليل السلاسل

وصليبي يقاتل

اورشليم التي عصرت كل اسمائها

في دمي ..

خدعتي اللغات التي خدعتني

لن اسميك

اني اذوب ، وان المسافات اقرب

وامام المغين حبك سلاحاً ليقتلني

في زمان الحنين المعذب

والمزمير صارت حجاره

رجموني بها

اعادو اغتيالي

قرب بيارة البرتقال ..

اورشليم التي اخذت شكل زيتونة

دامية ..

....

....

وانا فيك كوكب

يسقط البعد في ليل بابل

وصليبي يقاتل

هللوا

هللوا

هللوا<sup>(٢٠)</sup>

اختار درويش عنوان قصيدته ( المزمور الحادي والخمسون بعد المائة ) لجعل القصيدة عنصراً مكماً للمزامير الواردة في التوراة ، فضلاً عن ذلك محاولة الشاعر بجعل المزامير سلاحاً فتاكاً يرجم بها الاعداء واعاد قتلها قرب ( بيارة البرتقال ) ، وقد وظف اللفظ التوراتي ( هلوليا ) ودلالات الترنيمة المقدسة للرب لانتصار اليهود على اعدائهم بحسب المزمور التاسع والاربعون بعد المائة في العهد القديم :

(( ليتتهج الاتقياء بمجدٍ ، ليرنمو على مضاجعهم وتوبيهات الله في افواههم وسيف ذو حدين في يدهم ، ليصنعوا نقمة في الامم وتأدييات في الشعوب ، لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد ليجروا بهم الحكم المكتوب . كرامة هذا لجميع اتقيائه . هلوليا ))<sup>(٢١)</sup>

وهذا اللفظ تحول في الخطاب الدرويشي الى تمجيد للانتصار الفلسطيني وتعامل درويش مع المزامير بوصفها مزامير ومزاميره شعبه ، بمعنى أنها من منتجات الثقافة الكنعانية وإن تم نسبها توراثية الى النبي داود ، وذلك النسب ليس الا من اساطير الانبياء ، أو هو إعادة توليف النص الادبي الكنعاني القديم ، ومن المعروف من الاكتشافات الاثرية في الساحل الكنعاني الكبير ( من شمال سوريا الى جنوب فلسطين ) ان مزامير داود ليست الا ابتهالات وأغاني فولكلورية كنعانية قديمة ، وحتى رافدية تم اكتشاف مثيلها في العراق .<sup>(٢٢)</sup> ويمزج الشاعر في قصيدة ( الارض ) بين معطيات التوراة والانجيل معاً ، ويجعل الهياكل تحكي حكاية ( انبياء فلسطين ) وليس اسرائيل يقول :

وفي شهر آذار تستيقظ الخيل

سيدتي الارض

كأن الهياكل تستفسر الان عن انبياء فلسطين بدئها

المتواصل

هذ اخضرار المدى واحمرار الحجارة

هذا نشيدي

وهذا خروج المسيح من الجرح والريح

اخضر مثل النبات يغطي مساميره قيودي

وهذا نشيدي

وهذا صعود الفتى العربي الى الحلم والقدس<sup>(٢٣)</sup>.

وبشير شهر آذار الى قمع الاحتلال لسكان فلسطين المحتلة ، ودرويش يعيد الماضي وفق رؤية فلسطينية تجعل الهياكل تسأل وتستفسر عن أنبياء فلسطين وبحضور المسيح عليه السلام وقيامته تتأكد دلالات النبوة وهذه القصيدة تنتشظى بدلالات دينية وفي نهاية المقطع الشعري يستحضر درويش زمن الفتى العربي الذي ينهض من ركام الهياكل ، فهو يعلو على جراحه ، ودرويش صنع مرحلة نضالية تفاؤلية بطلها الفتى الفلسطيني ليجعل من جسده حصناً يمنعهم من العبور ، فيقول : (٢٤)

أنا الارض

ياايها الذاهبون الى حبة القمح في مهدها

احرثوا جسدي

ايها الذاهبون الى جبل النار

مروا على جسدي

ايها الذاهبون الى صخرة القدس

مروا على جسدي

لن تمرؤا

انا الارض في جسد

لن تمرؤا

انا الارض في صحوها

لن تمرؤا

انا الارض ، يا ايها العابرون على الارض في صحوها

لن تمرؤا (٢٥)

وتتعدد صور التشبث بالارض عند الشعراء إلا ان محمود درويش أكثرهم الحاحاً على ذلك الموضوع مما جعله يحيط به من جميع جوانبه الروحية والمادية ، يقول فيه يوسف الخطيب : ((الا ان من اختص في فلاحة الارض الفلسطينية فلاحة شعرية رائعة ومخصصة دون منازع محمود درويش ... فان ما يريده هو ان يتوحد مع الارض وليس مع الطبيعة .. مع الارض في اتصالها المباشر بالانسان وفي موتها

وبعثها المتجددين في هيئة الانسان وصورته وليس مع الطبيعة ذاتها، لان الارض هي التي تعطي الطبيعة اللون والرائحة والطعم<sup>(٢٦)</sup>

ومنذ مطلع التسعينات من القرن العشرين نلاحظ نزوعاً دروياً لإعادة كتابة التاريخ الفلسطيني من خلال قصائد ملحمة طويلة تبرز كأنها إعادة تأهيل للذاكرة الجمعية التي عمل الاسرائيليون على طمسها ، وليست كلمة (عادوا) التي استهل بها قصيدته سوى المفتاح للعودتين المتشابهتين : عودة الارض الى تاريخها الحقيقي والعريق وعودة أهلها الى مقاومة الامر الواقع إثر انتفاضة فلسطين الاولى وأواخر الثمانينات <sup>(٢٧)</sup> يقول :

عادوا

من آخر النفق الطويل الى مراياهم ... وعادوا  
حين استعادوا ملح اخواتهم ، فرادى او جماعات وعادوا  
من اساطير الدفاع عن القلاع الى البسيط من الكلام  
لن يرفعوا من بعد ايديهم ولا راياتهم للمعجزات اذا ارادوا  
عادو ليحفظوا ماء وجودهم ويرتبوا هذا الهواء <sup>(٢٨)</sup>

ان انفراد المأساة بالنرجس كانفراد الملهاة بالفضة ، وهما صورة من صور انتهاك البراءة والاعتداء الظالم على عذرية الاشياء او انتهاك بياض الروح بالظلمة ، بمعنى آخر ان صفاء الروح في ذلك الحال منتهك بالغموض ومرتبك بالسواد <sup>(٢٩)</sup> والشرط الاخر من العنوان - ملهاة الفضة - (( احياء في تعبير معنى العودة ايضاً ، وعودة البياض الى مسافات الاشياء بعد امعان ملهاة الضياع فيها .. عودة البياض الى انتماء الروح الى جذورها الاولى بعد إمعان ملهاة الاغتراب فيها عودة المسافات كلها الى جذور وصولها .. الى جهاتها .. بعد إمعان ملهاة الشتات فيها !! ومن هنا كانت مأساة النرجس صورة الملهاة الفضة لان النهايات الحزينة في تاريخ الاسى البشري حين يكرر الانسان أحداثها وكأنه يجر وقائع الاسى كل حين من آخر ألم صرفت الحياة عنده انما تبعث في لغة التعبير الحاجة الى العودة الى البياض فكاكاً من أسر المأساة وقيد الملهاة المنفعل بضحكك الدموع على لهو الاقدار ببياض الروح وطفولة الاشياء وعذرية نقاء الجذور الاولى)) <sup>(٣٠)</sup> فيقول الشاعر :

كانوا يعيدون الحكاية من نهايتها الى زمن الفكاهاة  
قد تدخل الملهاة في المأساة يوماً  
في نرجس المأساة كانوا يسخرون  
من فضة الملهاة ، كانوا يسألون ويسألون (٣١) .

فبياض النرجس وانفتاحه يتيح للمأساة ان تحتل مساحة البراءة في بياضه وينفجر السواد فيه  
بالسخرية لينفعل بياض فضة الملهاة بالاسئلة المتكررة المثخنة بالاسى والقصيدة الدرويشية هي تجليات  
لمعنى العودة ، وثريا النص ، انتقدت لتضئ النص من جهة ولتتصل كل وحدة شعرية فيه بتجليات معانيها  
من جهة أخرى (٣٢) .

وتتماز هذه القصيدة بمستوياتها الفكرية والتاريخية والاسطورية والرمزية والسياسية والجمالية ، فهي  
تعبر في جوهرها عن تحقيق الحلم بالعودة الى الارض بعد عناء التشرد في المنافي والمهاجر ، إذ يوظف  
درويش لغة الكلام العادي وهي لغة واقعية شفافة ، ثم يرتقي بها الشاعر فناً وتسمو الى مصاف لغة الشعر  
الموحية ، فيقول الشاعر :

هبت رياح الخيل ، والهكسوس هيو والتتار مقنعين  
.. وسافرين وخذلوا سماءهم بالرمح او بالمنجنيق  
وسافروا لم يحرموا ابريل من عاداته : يلد الزهور من الصخور  
أي سوء ، أي سوء بعدهم ، والارض تورث كاللغة (٣٣)

لقد توالى الحروب والازمات وكذلك الاحتلال على ارض كنعان ، فلقد تعاقب عليها الغزاة في  
مراحل تاريخية متباينة ، فقد حلوا وعادوا من حيث جاءوا وظلت الارض شامخة بعنفوانها وجمالها فيقول :

جبل على بحر  
وخلف الذكريات بحيرتان  
وساحل للانباء  
وشارع لروائح الليمون ، لم تصب البلاد باي سوء (٣٤)

انها العودة الى مرايا المكان في ساحل الانبياء ورائحة الليمون لذا لم يصب المكان ، البلاد بسوء ، أنها العودة الى مرايا المكان الماضية من رياح الخيل والهكسوس والتتار ، لازالت مرايا المكان تلد الزهور من الصخور ، فالمكان تدرس أشكاله وتبقى مراياه شاخصة توحى بالعودة وذلك المعنى يتجسد في الوحدة الشعرية الثالثة (٣٥) ويشف المقطع الشعري الرابع عن الضياع ، وقد كان حلم العودة من الضياع ولو الى مرايا المكان ، ولأنهم تعلقوا بمرايا المكان : حبات اللوز في الشوارع ، ولأنهم في حلم العودة من الضياع فقد هيمنت عليهم ذكرى الشهداء وهم الانقى براءة من الطفولة ولأنهم في حلم العودة من الضياع تتكسر البداية بهم ولتحقيق حلم العودة خطأ جروحهم بخمسة اتجاهات : حليب ليل لاينام ، ويزهره الليمون ، وبالصخر المدمى ، والنشيد ، وريشة طائر الفينيقي ، لان مرايا المكان متوارثة في الباقيين كاللغة ، (٣٦) ثم يقول الشاعر :

ولأنهم لايعرفون من الحياة سوى الحياة كما تقدمها الحياة  
لم يسألوا عما وراء مصيرهم وقبورهم ، ما شأنهم بعد القيامة؟  
هذي الجحيم هي الجحيم ، تعودوا ان يزرعوا النعناع في قمصانهم  
وتعلموا ان يزرعوا اللبلاب حول خيامهم وتعودوا  
حفظ البنفسج في اغانيهم وفي احواض مواتهم ، ولم يصب  
النبات بأي سوء ، حين جسده الحنين  
لكنهم عادوا قبيل غروبهم ، عادوا الى اسمائهم  
والى وضوح الوقت في سفر السنونو (٣٧)

ويوظف درويش معنى شذى النعناع وأخيلة اللبلاب ومسافات البنفسج لفتح أفق مرايا المكان الغائب ، ولم يطال النبات أي سوء لانه معلق في سلال الحنين وسفر المنافى المتصلة ، وفي مقطع شعري آخر يقول :  
ولكنهم عادوا من المنفى .. وان تركو هناك خيولهم  
فلأنهم كسروا خرافتهم بأيديهم لكي يتسربوا منها وكي يتحرروا  
ويفكروا بقلوبهم  
عادوا من الاسطورة الكبرى لكي يتذكروا  
ايامهم وكلامهم . عادوا الى المألوف فيهم وهو يمشي

فوق الرصيف وبمضغ الكسل اللذيذ ووقته من غير غاية  
ويرى الزهور كما ترى الناس الزهور .. بلا حكاية  
من زهرة الليمون تولد زهرة الليمون ثانية ، وتفتح في الظلام  
نوافذ الدور القديمة للمدى ... على سلام العائلة (٣٨)

وفي هذا المقطع الشعري ( عادوا ) من المنفى الى مرايا المكان تاركين خيولهم واخيلتهم واساطيرهم ،  
وعودتهم من اسطورة المنفى وخرافة النفي عن المكان الى مرايا المكان المعروفة فيهم ، وعادوا ليروا ولادة  
الاشياء لمحو الظلام (٣٩) .

ثم يقول :

يانشيد خذ العناصر كلها  
واصعد بنا دهرأ فدهراً  
كي نرى من سيدة الانسان ما سيعيدنا  
من رحلة العبث الطويل الى المكان - مكاننا  
واصعدنا قمم الحراب لكي تطل على المدينة  
انت ادري بالمكان وقوة الاشياء فينا  
انت ادري بالزمان ...  
خذني الى حجر لاجلس قرب قيثاري البعيد  
خذني الى قمر لاعرف ما تبقى من شرودي  
خذني الى وتر يشد البحر للبر الشريد  
خذني الى سفر قليل الموت في شريان عود  
خذني الى مطر الى قرميد منزلنا الوحيد  
خذني الي لانتمي بجنازتي في يوم عيدي  
خذني الى عيدي شهيداً في بنفسجة الشهيد (٤٠)

وفي هذا المقطع تتجسد العودة من مرايا المكان الى المكان نفسه الى المدينة الى حجر يعزف القيثارة ،  
وقمر يدل على نهاية الشرود ومطر ينزل على قرميد المنزل ، وتصبح الشهادة عيداً والشهيد بنفسجاً<sup>(٤١)</sup> .

وتشف الوحدة الشعرية الثالثة عشر عن معنى العودة وتجليات الماضي الاخر ، يقول :

عادوا الى ماكانوا فيهم من منازل واستعادوا

قدم الحرير على البحيرات المضينة واستعادوا

ماضاع من قاموسهم وزيتون روما في مخيلة الجنود

توراة كنعان الدفينة تحت انقاض الهياكل بين صور واورشليم

وطريق رائحة البخور الى قريش تهب من شام الورد<sup>(٤٢)</sup>

والتوراة بالنسبة لدوريش (( عمل ادبي كنعاني يعيد توليف الحكايات الكنعانية مع التركيز على نفس الثيمات  
والموتيفات الادبية التي كانت وماتزال تشغل الحيز الاكبر من فكر الانسان وانتاجه الديني الجمعي ، الا ان  
الشاعر يرفض خطف هذا الادب الكنعاني من قبل جماعة دينية معينة ، لذلك استخدم كلمة ( أنقاض  
الهياكل ) وما يعنيه ذلك من انهيار عملية الخطف هذه وانفصاح امرها ، مع الاشارة الى ما تحمله الكلمة  
من عمل اركيولوجي ، وهذا يشير الى علو شأن الرمزية عند محمود وقوتها ، فاستخدمه لـ ( انقاض  
الهياكل ) كان موفقاً بامتياز نظراً للاحتقان الهائل للرمز فيها ... ثم ينهال الشاعر برمزية اخرى لاتقل  
احتقاناً ، انها الثنائي صور واورشليم فمن ناحية ثانية عن كنعانية الهيكل الاورشليمي الذي بناه مهندسوا  
صور الكنعانية ))<sup>(٤٣)</sup>

وينتقل الشاعر بين رمزيات الشرق الاوسط القديم ، ويستدعي ثقافة العراق ومصر وما بينهما ،  
ويدعو القارئ ان يستعيد هذه الثقافة فالعودة لاتكتمل ان كانت فيزيائية ، فلا بد من استعادة ثقافية لتكتمل<sup>(٤٤)</sup> ،  
فضلاً عن ذلك ان العودة الى أبعاد من الماضي تتصل بمرايا المكان ، بمرايا تستعيد ماضاع من  
زيتون روما . وما ضاع من توراة كنعان الدفينة تحت انقاض الهياكل .. وماضاع غزالة النيل ...  
وماضاع من فحولة دجلة الوحشي ، فالتاريخ الكنعاني والهوية الفلسطينية العربية تحت انقاض الهياكل في  
القدس ، يؤكد الشاعر على استعادة الذاكرة والهوية الفلسطينية والعودة الى القدس - اورشليم وازالة الغبار  
عن وجهها العربي الكنعاني ، ثم يظهر معنى العودة مرة اخرى في وحدة شعرية اخرى فيقول:



مازال فيهم من منافهم خريف الاعتراف  
مازال فيهم شارع يفضي الى المنفى وانهار تسير من الجفاف  
مازال فيهم نرجس رخو يضاف من الجفاف  
مازال فيهم ما يغيرهم اذاعادوا ولم يجدوا الشقائق ذاتها  
وبر السفرجلة العنيدة ذاتها ... والاقحوانه ذاتها  
والاكنديا ذاتها .. وسنابل القمح الطويلة ذاتها .. والبيلسانه ذاتها  
وجدائل الثوم المجفف ذاتها .. والسنديانة ذاتها والابجدية ذاتها<sup>(٤٥)</sup>

(( ويصدر شعر درويش عن تجليات البعد الروحي على نحو متصل بعمق انساني وثرأ فني وهو ما جعل نصه فعلاً جمالياً وفعلاً انسانياً في الوقت نفسه ذلك ان الفعل الجمالي استجابة لواقع تجربة منها يتألف وفي أثرها يتكون ليصبح حينها منطلقاً جمالياً أو فعلاً جمالياً مكتنزاً بالمعنى الانساني أي مستجيباً لتجليات الروح وصادراً عنها لان - منطلق الجمال تفرضه حاجة الروح الانسانية ولابد له ، من ان يتطور ويتغير ويتبدل ويتولد نتيجة للمراحل التي تمر بها هذه الروح في سعيها ونتيجة لحاجة هذه الروح الى اشباعات معينة ، فالجمال في النهاية ، فعل اشباع حاجات هذه الروح ، ولما كانت كل روح انسانية تسعى الى امر ، فان منطلقات الجمال التي تمارسها تختلف باختلاف الامر الذي تسعى اليه - فالذات الشاعرة هي منطلق الجمال اذ تحقق من خلاله قيمها الجمالية بمعطيات الانسانية ذلك ان منطلق الجمال هو الحاجة الانسانية الروحية لوجود لجمال خارج ما تحتاجه الروح الانسانية ويمثل شعر محمود درويش الانموذج اللافت للنظر في هذا الاتجاه ولاسيما في لغة المكان أو التعبير الشعري عن المكان .

إذ يربط درويش في خطابه الشعري بين المكان وسماته الجغرافية وبين تجلياته الشعرية في نسق من التداخيات الموعلة في عالم ملغز محمل بالسكر والرؤيا الاسطورية وفي هذا يكمن حضور شعر درويش الاخاذ وقدرته على النفاذ الى قارئه والتغلغل في وجدانه ، لان درويش ليس مسكوناً بالمكان وحده، انما هو مسكون بروح المكان))<sup>(٤٦)</sup> كما في الوحدة الشعرية السابعة عشر :

وفي الممرات استعدو للحصار ، نياقهم عطشت وقد حلبوا السراب  
حلبوا السراب ليشربوا بين النبوءة من مخيلة الجنوب

في كل منفى قلعة مكسورة ابوابها لحصارهم .. ولكل باب  
صحراء تكمل سيرة السفر الطويل من الحروب الى الحروب  
ولكل عوسجة على الصحراء هاجر هاجرت نحو الجنوب  
مرو على اسمائهم منقوشة فوق المعادن والحصى  
لم يعرفوها فالضحايا لاتصدق حدسها ...<sup>(٤٧)</sup>.

ويأتي التعبير عن لغة المكان بمعطيات المكان في الروح ، وتجلياتها في الزمن والتاريخ وفاعلية  
حضورهم في الحاضر ، وما تتضمنه من آفاق مرئية او محسوسة واخرى متخيلة تحيط بها الروح وينفعل  
بها الهاجس ، ذلك لان روح المكان الخالدة الضاربة جذورها في عمق الماضي والمستشفرة لكل افق  
مستقبلي ، فضلاً عن ان شعر درويش يتميز بمعناها الثوري والفني والمبدع ويشف عن جمالية اخاذة ،  
وليس المقصود بذلك الشعر الثوري الخطابي التوجيهي التعبوي ، كون الصفات الثلاث الاخيرة ليست من  
الحدائث ولا من تجلياته في شئ<sup>(٤٨)</sup> .

عبر درويش عن المنفى بتلوينات شعرية فنية موحية ، هي قمة الجمال والادهاش والسحر الاخاذ ، فيقول  
أما المنافي فهي أمكنة وازمنة تغير أهلها وهي المساء اذا تدلى من نوافهذ لاتطل على أحد /وهي الوصول  
الى السواحل فوق مركبة اضاعت خيلها /وهي الطيور اذا تمادت في مديح غنائها ، وقصيدة ( مأساة  
النجس ملهاة الفضة ) تستقطب افكار الشاعر ورؤياه واخيلته ، فهو ينطلق من الشعور الجمعي ومن ذاكره  
كلية مشعة بالالوان والصور والافكار والأماكن والأزمان المتعددة فيتجسد الماضي والحاضر والمستقبل عبر  
مستويات متنوعة ، وذلك الصراع مع الاعداء يتكلل بالعودة والنصر ، ويتجسد ذلك في حركة الافعال  
المضارعة مثل : يعرفون ، يحلمون ، ويرجعون وذلك يؤكد على تحقيق العودة والنصر النهائي للشعب  
الفلسطيني .

ان احساس الشاعر بحب الارض وعشقها يمنحه قوة اسطورية في تحملة العذاب والالام والاحزان ومن جراحه تتفتح الورود القدسية ، ومن على الصليب يولد الوطن <sup>(٤٩)</sup> فيقول :

وكل شئ في

البعيد يعود ريفياً بدائياً ، كأن الارض

مازالت تكون نفسها للقاء آدم ، نزلاً

للطابق الارضي من فردوسه ، فاقول :

تلك بلادنا حبلى بنا ، فمتى ولدنا ؟

هل تزوج آدم امرأتين ؟ أم أنا

سنولد مرة اخرى

لكي ننسى الخطيئة <sup>(٥٠)</sup>

لقد جعل الشاعر من فلسطين الجنة التي حرم منها بسبب خطيئة آدم ، الذي يرمز به الى الانسان الفلسطيني لكن الشاعر عدل أحداث القصة الدينية ليحفظ له البقاء في جنته ، فهي لا تزال تحمله في جوفها ، ولا يزال يحيا في احشائها ، ولم يشعر انه انفصل يوماً عنها ... فكيف الحال وهو خارجها ، وذلك استفهام مشبع بدلالة الانكار والتعصب الذي لا يفسره سوى الحلم بعودة جديدة تخلو من ارتكاب خطيئة اخرى <sup>(٥١)</sup>

ومن ملامح الصراع النفسي الوجداني عند الانسان ، الشعور بالغربة والوحشة في موطنه الاصلي ، وتجسد ذلك الشعور عند زيارة درويش لقريته ( البروة ) فقد تغير المكان ، وقد محا الاعداء ملامحة الخارجية ، وتضاءلت فيه صور القرى ، واصبح المكان في صورته الحاضرة بنظر الشاعر اشبه بأسطورة قديمة تبعد عن تصويره وخياله ، وذاكرته ، ويتطلع على قسّمات الوطن فيجده غريباً وكأنه أمام مكان اخر ، فالمكان الذي رسمه درويش في الذاكرة كان اقوى حضوراً وتجلياً من المكان الحسي ، ولا يخفى عن الازدهان عودة درويش الى الوطن بعد معاناته الوان العذاب والقلق النفسي وذل المنافي ، والعودة الى الوطن تكلفت بالالام ، وارض الوطن امتلات بالمستوطنات ، وباحلام أبناء صهيون وأطماعهم <sup>(٥٢)</sup> فيقول :

طريق يؤدي الى طلل البيت

( تحت حديقة مستوطنة )

طريق يسد علي الطريق

فيصرخ بي شبحي ،

إن

أردت

الوصول

الى

نفسك الجامعة

فلا تسلك الطرق الواضحة (٥٣)

لقد وظف درويش التقنية الكتابية في توزيع الاسطر الشعرية وبعثرة كلمات الجملة النحوية ، ليوحي بطول الطريق وشدة المعاناة ، وقد اختزل الشاعر بمعانيه الكبيرة في مفردة البيت ، فهو الحلم والسكينة والفردوس المفقود ، وكل ما سواه عذاب ورحيل (٥٤) فيقول :

وقلت : تعلمت الكثير ، تعلمت

كيف أدرب نفسي على الانشغال بحب

الحياة وكيف احذف في الابيض

المتوسط بحثاً عن الدرب والبيت أو

عن ثنائية الدرب والبيت (٥٥)

البيت / الوطن جعل الشاعر يشقى من اجل الوصول اليه ، ويرى درويش في البيت منبعاً للحياة والامل ، لان البيت (( هو ركننا في العالم ، كما قيل مراراً ، كوننا الاول كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى ، واذا طالعنا بألفه فسيبدو أبأس بيت ، انه ذكريات البيت الذي يحمي احلام اليقظة ، وبدونه يصبح الانسان مفتتاً ، وحين نحلم بالبيت الذي ولدنا فيه وبينما نحن في أعماق الاسترخاء القصوى تنحصر في ذلك الدفء الاصلي ، في تلك المادة لفردوسنا المادي)) (٥٦).

والبيت عند درويش لم يعد مساحة جغرافية وقطعاً من الاثاث ، بل هو عالم يشع بالاحساس والمشاعر والذكريات ، ويسترجع درويش بذكرياته تضاريس قريته ( البروة ) ومنها ( البئر ) فهو مستودع للمشاعر والذكريات وموطن الاسرار ، لقريته التي ظل أهلها يروون ضمأهم حقبة من الزمن قبل ان يدمرها جيش الاحتلال يقول :

لم اعتذر للبئر حينما مررت بالبئر ،  
استعرت من الصنوبرة العتيقة غيمة  
وعصرتها كالبرتقالة ، وانتظرت غزالة  
بيضاء اسطورية وأمرت قلبي بالترث :  
كن حيادياً كأنك لست مني : هاهنا<sup>(٥٧)</sup>

ولايقوى الشاعر على مواجهة الامكنة والحقيقة الاليمة التي زالت تثن بالشكوى والعتاب لقاطنيها الذين هجروا المكان وتنازل ولو بشكل بسيط من تاريخه الطويل ، وتتبدى من تلك الصور ذكريات الماضي فهي (( ذكريات الطفولة المترسبة ، وبالتالي المكان الابرز حضوراً هنا هو - بيت الطفولة - والذي يعد أحد أبرز المكونات اللاشعورية الثاوية في عقل الشاعر ، بوصفه المكان الاثير لدى النفس ، او بمعنى آخر الفردوس المفقود بشكل من الاشكال ، تتحد ذكريات الطفولة هنا بأزمناها وامكنتها لتشكل مشهداً مفعماً بالمتعة والامن ، والدفع الانساني والالفة والاستقرار ، حيث يشحن هذا البيت ( بيت الطفولة ) بقيم حلمية لاتزول بزوال البيت ، بل تتجمع في وحدة شعورية مركزة تستعصي على الزوال وتعاودنا كلما ضجرنا من حاضرها وشقينا به ، لتمدنا بالراحة والاسترخاء ))<sup>(٥٨)</sup> .

و( أنا ) الشاعر ان اغمضت وتجاهلت الذكريات ، فهي سرعان ما تنهاوى أمام فيض المشاعر والاحاسيس النابعة من عمق المأساة وتفرق في عالم الحلم والخيال ، وان ارتباط درويش الشعوري بالبئر منذ طفولته ، مكنه لان ينظر اليه الشاعر بوصفه منبعاً للخير والعطاء ، ومكاناً يزرع في النفس الامل<sup>(٥٩)</sup> ، وان ملامح الوطن / البيت اندرست واقعياً بفعل ممارسات العدوان الوحشي في الارض المحتلة وهو أمر جعل الذات الشاعرة تشعر بغربة مريرة موجعة وان علاقة الشاعر بالمكان علاقة وجودية ، ((فلا وجود له خارج المكان ، ولا مكان خارج وجوده والعلاقة بينهما علاقة جدلية كل منهما يولد منه الآخر ، ولايعبأ الشاعر بمجمل

حياته التي عاشها وحيداً عن الوطن ، فهي حياة بلا معنى وبلا قيمة ، واحساس بكيونته ووجوده يتجسد عندما يلتحم ولو لحظة تسبق الموت ))<sup>(٦٠)</sup>

ويمزج درويش تاريخ القدس بتاريخ الانبياء الذين عاشوا فيها ، ونادوا بالمحبة والسلام والوئام ، ويذكر القدس في حضرة المعراج النبوي ( المحمدي ) الذي تحدث العربية الفصحى ، وفي ذلك المقطع الشعري يسير الشاعر في نومه ولا يرى أحداً ثم يفاجأ بمجندة صهيونية تروم انتزاع تاريخه ، لانه نسي ان يموت :

في القدس ، اعني داخل السور القديم  
أسير من زمن الى زمن بلا ذكرى  
تصويني ، فإن الانبياء هناك يقتسمون  
تاريخ المقدس ... يصعدون الى السماء  
ويرجعون أقل احباطاً فالمحبة  
والسلام مقدسان وقادمان الى المدينة

.....

أمشي كأني واحد غيري ، وجرحي وردة  
بيضاء انجيلية ويدي مثل حمامتين  
على الصليب تحلقان وتحملان الارض  
لا امشي اظير اصير غيري في  
التجلي . لامكان ولا زمان ، فمن أنا ؟  
أنا لا أنا في حضرة المعرج لكني  
افكر : وحده كان النبي محمد  
يتكلم العربية الفصحى ( وماذا بعد ؟ )  
ماذا بعد ؟ صاحت فجأة جنديّة  
هو انت ثانية . ألم اقتلك ؟  
قلت قتلتني .. ونسيت مثلك أن أموت<sup>(٦١)</sup>

بالرغم من جمال القدس وروعيتها وبهائها ، وجو الخشوع في المساجد والكنائس لكنها يشوبها الحزن ، ويرسم درويش لوحة واقعية كئيبة وحزينة لواقع لا يقلل من كآبته الا ذكر الانبياء والمعراج ، ويبلغ الشاعر ذروة حلمه لكنه يفاجأ بصوت المجندة وهي تزعق ليصحو الشاعر على مرارة وعتمة الواقع ليستمر في دوامة الحزن المريع لمدينة المقدس فضلاً عن ذلك وظف درويش التراث الديني ، وان رموز القدس الاسلامية والمسيحية التي ترد في قصائد القدس تتجلى من خلال التعبير القومي العربي ، فهو يتحدث عن الاسراء والمعراج ، ونجده يستعير الآلام والقيامة للتعبير عن المأساة والواقع المأساوي وبعد توحد (( الكون في عين الشعر ، ويصبح الجرح وردة انجيلية بيضاء ، ويطير الحالم فوق الزمان والمكان ، حتى يقف في حضرة المعراج المحمدي ، يصحو من حلمه النبوي على صيحة المجندة الصهيونية التي قتلته من قبل ، فيعيد لها المفارقة المستحيلة بأنه - مثلها - نسي أن يموت ، وكما تمثل القصيدة في حركاتها الخفيفة ومجازاتها المميزة الطائفة ، بيئة تخيلية موازية لما يحدث في الاحلام من عجائب فأنها تقتنص المشهد من ذاكرة الزمن ، لتثبت في قرارة أرواحنا هذا الايمان العميق بلا جدوى القتل الصهيوني الاعمى في مدينة الحب والسلام ، وضرورة تصالح الانبياء على سورها ، بعد ان تسود فيها مرة اخرى اللغة المحمدية الفصيحة )) (٦٢)

المبحث الثاني

المكان / المنفى

كتب درويش قصيدة ( مديح الظل العالي ) بعد خروجه من بيروت والقصيدة أشبه بملحمة هوميرية تتمحور حول وقوف المدينة وحيدة وبلا ظهور بوجه الاجتياح الاسرائيلي ، لكن البعد التسجيلي للتجربة وقوة الانفعال لها دور الى حد بعيد في حرمان القصيدة من تماسكها وبنائها العضوي ، ولا يغرب عن الازدهان النبيرة العالية التي تهيم على العديد من المقاطع فضلاً عن التفاوت بين مستويات التعبير التي تتراوح بين الواقعي والمباشر والهديان السريالي في بعض الاحيان <sup>(٦٣)</sup> وتتضمن القصيدة نصوصاً متعددة الابعاد وهي :

١- النص ذو البعد الديني والمعتقد الاسلامي ، فيقول درويش :

نحتل مؤذنة ونعلن بين القبائل أن يثرب اجرت قرآنها ليهود خبير

وبيروت اختار الله جربناك جربناك

فلتبحث عن نبي فيك ناما

ايوب مات وماتت العنقاء وانصرف الصحابة

اليوم تمت الرسالة فيكم <sup>(٦٤)</sup>

٢- النص ذو البعد التاريخي وما يتعلق به من أحداث ومشاهد <sup>(٦٥)</sup> ، يقول :

حتى يعود الروم حتى نطرد الحراس عن اسوار قلعتنا

وتتكس الصواري

لم تذكر قرطاج

في كل مؤذنة



ماء مغتصب

يدعو لاندلس

ان حوصرت حلب

ياهيروشيما العاشق العربي امريكا هي الطاعون والطاعون امريكا  
اشارات ترتبط بالخرافة والاسطورة<sup>(٦٦)</sup>

وقد تردد في هذا النص الاشارات الاتية : الاوديسا ، ايوب ، الاندلس ، وصايا التوراة ، يثرب ، اليهود ، وتتردد اصداء المشردين والامهم وتوظيف رمز الاوديسا يشحن النص بمعاني متعددة مثل الضياع والموت والانتقام والقوة والسيطرة والشجاعة ، وتشير قصة الاندلس الى زمن الاستلاب والهزيمة في حياة العرب المتخاذلين ، بينما تمثل حلب اعتداءات الصليبيين على سواحل الشام وأمكنته الرقاقة ، وتجسد ألقاظ العهد القديم ( التوراة ) الثقافة الدينية التي ينطلق منها العدو في اعتداءاتها ويبرر بها جرائمه ، وتشير مدينة قرطاج الى الحضارة والتاريخ وصمودها أمام الاعداء ، وهي تتقاطع مع بيروت في فضاء نحو وحدة المصير ، والقارئ للقصيدة يلمس ملامح ومعاني بعض الايات في القرآن الكريم التي تتحدث عن الابتلاء والصبر والثبات والمقاومة وأزلية الصراع والتضحية وذلك يعني اطلاق درويش على القرآن الكريم وأطلاعه على قصص الانبياء والتاريخ الاسلامي والفتوحات الاسلامية ، فضلاً عن الكتاب المقدس ( التوراة ) والتلمود وقد حشد درويش سلسلة من الاماكن والمدن وذلك يمثل الاحساس بعمق التجربة الشعرية والمعروفة لدى الشاعر واقام الشاعر صوراً بين النص الشعري وعالم الانبياء ( موسى ، وعيسى ، ايوب ) عليهم السلام وذلك يخدم مقصدية النص فضلاً عن انسجامها معه<sup>(٦٧)</sup> والشاعر هو المتكلم في القصيدة ، ورد ذكره عدة مرات في القصيدة فهو الوطن الجريح ، وهو اللاجئ والشهيد أما بيروت فهي الظل العالي في جميع الاحوال ودرويش واحد من اللاجئين والمحبين لبلده الثاني ( بيروت )<sup>(٦٨)</sup>

واهداها هذه القصيدة تعبيراً عن الحب والوفاء ، وجميع ألوان التناقض الممتزجة بالخيال والأسطورة تجلت في هذه القصيدة ، وبيروت مدينة الحب والعشق وكذلك هي مدينة الموت والفناء<sup>(٦٩)</sup> .

وببيروت المكان مسدسي الباقي  
وببيروت الزمان المؤيد الان المضرج بالدخان  
وببيروت مقال الفتى لفتاته  
بحر لأيلول الجديد خريفنا يدنو من الابواب  
بحر للنشيد الحر هيأنا لببيروت القصيدة كلها  
بحر لمنتصف النهار  
بحر الرايات الحمر ، لظلنا لسلاحنا الفردي  
بحر للزمان المستعار (٧٠)

وتوثق مطولة ( مديح الظل العالي ) يوميات حصار المقاومة الفلسطينية واجتياح بيروت ووظف درويش شخصية ( اشعيا ) وهو واحد من كهنة بني اسرائيل ويذكر عنه مواقفه الانسانية ودعوته الى العدل والحرية والحق والسلام والمحبة ، واستحضره الشاعر ليشهد مجازر اليهود المتكررة بحق الشعب الفلسطيني فضلاً عن محاولات التهجير القسري ، ويخاطب درويش اشعيا ويستدعية ليخرج من الكتب المقدسة والتي يرتكز تصويرها على معاناة اليهود والسبي البابلي ، وذلك كي يشاهد اللحم الفلسطيني المعلق في أزقة اورشليم وفوق مطالع العهد القديم :

لاظلام اشد من هذا الظلام  
يضئني قتلي  
امن حجر يقدون النعاس ؟  
أمن مزامير يصكون السلاح ؟  
ضحية  
قتلت  
ضحيتها  
وكانت لي ضحيتها  
وكانت لي هويتها

انادي اشعيا : اخرج من الكتب القديمة مثلما خرجوا ،  
ازقة اورشليم تعلق اللحم الفلسطيني فوق مطالع العهد القديم  
وتدعي أن الضحية لم تغير جلدها  
يا اشعيا لاترث بل أهج المدينة كي أحبك مرتين<sup>(٧١)</sup>

ويعرض دوريش ممارسات الكيان الصهيوني الوحشية بحق الشعب الفلسطيني ،وفي الماضي كان اليهود الضحية في زمن السبي ، واورشليم باتت تعلق اللحم الفلسطيني فوق مطالع العهد القديم

ولاشك ان شغف محمودب ( أرميا واشعيا ) له ما يبرره ، فهما من أنبياء الحصر المحوري ، كما يقول فقهاء الكتاب المقدس ، وقد أحدثا ثورة لاهوتية في الفكر اليهودي ، وإن استضافة محمود لارميا واشعيا تعني رفضه للعسكرة والحروب المقدسة التي تشن بأسم الدين والرب تماماً كما رفض ارميا واشعيا الحروب وكما في التناص السابق مع ارميا يعقد الشاعر هنا تناصاً بين سقوط اورشليم وبين حصار بيروت ، وفي الحالتين دفع أهالي فلسطين الثمن ، لهذا يدعو محمود النبي اشعيا ان لايرثى اورشليم كما فعل في سفره بل يدعو ان يهجو اورشليم الآثمة - حسب أشعيا - التي تسببت بإثمتها بتعليق اللحم الفلسطيني مرتين - حسب محمود - مرة في زمن اشعيا ومرة في حصار جيش الاحتلال ( الاورشليمي ) لبيروت في زمن محمود<sup>(٧٢)</sup> والشاعر ازاء (( تبادل تجادلي بين الداخل والخارج فارتباك الداخل ورعبه ماهو الا انعكاس لخلل الخارج وقسوته على الروح ، هذه الروح التي ماتت تتراجع امام قسوة المكان وتعاني تهميشاً واهمالاً .

مريعا ... يعطل كل قواها الانبعاثية يدمر رغبة الحياة فيها ويحاصرها بتلك المعاناة السيزيفية الرهيبة))<sup>(٧٣)</sup>

وقد ذكر درويش انعدام الانسانية عند الصهاينة معبرا عنها بقوله : ((يتعين على من بكى منذ الفى عام ان يكون اكثر تفهما من الاخرين لمن يبكي من عشرين سنة ...))<sup>(٧٤)</sup>

وتتمحور رحلة درويش المكانية مع المنفى الذي تتعدد اشكاله فالمكان / المنفى يجسد معاني البطولة الاوديسا والمكان الاصلي (الام) حوله الاعداء الى مكان اللجوء والمخيمات وبيروت عاصمة الجمال اضحت عاصمة الخراب ويهيمن البحر بوصفه مكانا للطواف الاسطوري ، ويهيمن البحر بوصفه مكانا التجوال الاسطوري ، والبحر يجسد الرحيل الدائم وتوصيف دمار بيروت يجسد انهيار المكان العربي

النموذجي للوحدة وبانت بيروت مضرجة بالدخان فيقول : وبيروت الزمان هوية (الان) المضرج بالدخان  
في كل مؤذنة  
حاو ومغتصب  
يدعو لاندلس  
ان حوصرت حلب (...) ويسأل صاحبي : وإذا استجابت للضغوط فهل سيسفر موتنا  
عن دولة ...  
او خيمة ؟ (٧٥)

ويقول في موضع اخر من القصيدة :  
بيروت - منتصف اللغة  
بيروت - ما قال الفتى لفتاته  
والبحر يسمع ، او يوزع صوته بين اليدين  
غمسي بدمي زهورك وانثريها  
حول طائرة تطارد عاشقين  
والبحر يسمع ، أو يوزع صوته بين اليدين  
وأنا احبك  
غمسي بدمي زهورك وانثريها  
حول طائرة تطاردني وتسمع ما يقول البحر لي  
بيروت لاتعطي لتأخذ  
وتبني هيكل القدس . كم سنة  
وعدوك باللغة الجديدة واستعادو الميتين مع الجريمة  
هل أنا ألف ، وباء للكتابة أم لتفجير الهياكل (٧٦)

ويعتبر د. ( عبد الاله بلقزيز ) بيروت المكان الثاني لولادة درويش وابداعه ، فقد ابدع الشاعر في مطلع  
الثمانينات من القرن العشرين قصائد مثل ( الارض ، ومديح الظل العالي) فتلاقح ذلك المكان الثوري  
والمشع بالثورة ويتجسد بفلسطين والابداع والحدائث والجمال واحلام التغيير وتتجسد بيروت (٧٧) ويقدمها

درويش بوصفها منبع الالهام للشعراء المحدثين ، إذ تغنى بحبها وجمالها الشعراء العرب ، فإذا كان الفن تلك الرحلة الاثيرية للانسان وانتقاله من الواقع الموضوعي المحدود الى العالم المطلق وإدراكه للوجود من خلال تخليقه ثانية... فأن المكان (( يبقى دوماً هو أصالة الفن وعنوان انتماؤه ، ولكن - هنا - ينتقل من صورة حقيقية الى صورة غيرية - ذاتية وذاكرة فنية لكونه يدرك إدراكاً ذاتياً ، ويعامل حدسياً وعندما يدخل مجال الوهم والخيال والحلم ، ليكون كملجأ أو حل للمبدع حين يريد الهروب أو حين يعتمد الى عالم غريب عن واقعه ، ليسقط عليه رؤاه التي يخشى معالجتها ، وهنا يتحول المكان الى رمز وقناع يضيفي المباشرة ، ويسمح لفكرة المبدع ان يتسرب من خلاله ..))<sup>(٧٨)</sup> ثم يكمل الشاعر قائلاً :

قلنا لبيروت القصيدة كلما ، قلنا لمنتصف النهار :

بيروت قلعتنا

بيروت دمعتنا

ومفتاح لهذا البحر كنا نقطة التكوين

كنا وردة السور الطويل وما تبقى من جدار

ماذا تبقى منك غير قصيدة الروح المحلق في الدخان

قيامة

وقيامة بعد القيامة؟ خذ نثاري

وانتصر في ما يمزق قلبك العاري

ويجعلك انتشار للبدار

ستتسع الصحارى

عما قليل ، حين ينتفض الفضاء على خطاك

فرغت من شعفي ومن لهفي على الاحياء افرغت

انفجاري

من ضحاياك ، استندت على جدارٍ ساقط في شارع

الزلال

اجمع صورتي من أجل موتك

خذ بقاياك ، اتخذني ساعداً في حضرة الاطلال ، خذ

قاموس

ناري

وانتصر

في ورده ترمي عليك من الدموع

ومن رغي يابس ، حافٍ ، وعار

بحر لمنتصف النهار<sup>(٧٩)</sup>

وهذه القصيدة (( من خلال مشاهد الموت والخراب والدمار والامل والياس والغضب لايمكن ان يستنتج ببساطة مع دلالة المديح والظل الذي يحيل الى الطمانينة ، قد تكون بيروت ظلاً ظليلاً للشاعر ومن خلاله كل المستضعفين والمبعدين .... فالقصيدة كلها لبيروت وهي الظل العالي الذي ستظل به كل الابطال والفدائيين هي ملجأ كل هارب من العدو هي الحنان والجمال الطبيعي .. وهذا ما عبر عنه النص ... لقد اهدى الشاعر قصيدته بيروت صورة الانوثة المغتصبة والنبيل العربي والجمال الطبيعي الخلاب ، صورة جمعت الحياة والموت في صراع ابدى))<sup>(٨٠)</sup>

وفي وضع كهذا نتيجة وحشة الخارج وجوه الكئيب وقسوته ووحشيته ، لا يكون الداخل الا مرعوباً بالهموم المشبعة<sup>(٨١)</sup> ان الشعر العربي المعاصر (( لم يكن الا ابن بيئته ، فلقد كانت له تجربته الخاصة ، تلك التجربة تنطلق اساساً من الواقع المعيش ، برتابته المضجرة وتكراره المضني ، واحداثه المعادة بصفة ثقيلة تبدل الحواس وتجملها لتصير عاجزة عن النفاذ الى لب الاشياء ، وتكتفي بالسطحي والعارض المانع لنفسه بسهولة .. فهذه التجربة قد وعت عالمها وادركت ماساويته التي تختلف في كثير من مناحيها .. ان المدينة العربية أخذت الاطمئنان الروحي ، ولم تعط الا الانكسارات والهزائم المتوالية ))<sup>(٨٢)</sup> وقد عاش درويش في بيروت أطول فترة في حياته ، ونتيجة الاحداث المؤلمة التي عاصرها الشاعر ابان اقامته في بيروت وتعرضها لحروب اهلية وطائفية فضلا عن الاعتداءات الاسرائيلية ، وحصار بيروت عام ١٩٨٢ ، اضحت بيروت الرائعة الجمال ، المكان الغامض والقاتل فيصفها درويش بالمدينة الملتهبة فيصفها درويش في مطلع قصيدته ( بيروت ) قائلاً :

تفاحة للبحر ، نرجسة الرخام

فراشة فجرية ، بيروت شكل الروح في

المرأة

وصف المرأة الاولى ورائحة الغمام

بيروت من تعب ومن ذهب واندلس وشام

وفاة سنبل تشرد نجمة بيني وبين حبيبيتي بيروت

لم اسمع دمي من قبل ينطلق باسم عاشقة

تنام على دمي ...

وتنام (٨٣)

والقصيدة مشحونة بالرموز والاشارات والايماءات التي تحتاج الى امعان النظر واستحضار لمعجم الشاعر الفني ومتابعة صورها المترابطة ، فالشاعر يرسم صورة بيروت بعد الاجتياح الاسرائيلي لها وتدميرها ، ويسطر الشاعر تلك الصور المؤلمة وصراع بيروت بين الفناء والبقاء ، وذلك الصراع هو الحياة والموت ، فصور التفاحة والنجسة والحمام والسنبل ، هي رموز الحب والبقاء والسلام ، وبيروت ( خيمتنا الاخيرة ) و ( نجمتنا الوحيدة ) ليتساءل الشاعر هل يستمر الرحيل من خيمة الى اخرى ، ومن منفى الى اخر ، ويتحول الوطن والماء والموج الى زبد يذهب جفاء ، ويكون الميناء هو القاتل ، ولعل الشاعر ينزعج من مكان الميناء لارتباط الميناء بالسفر والرحيل ، وبعد تدمير بيروت لابد من البحث عن منفى جديد ...

وان ((المكان هو الفضاء الامثل الذي تنهال منه عملية الابداع لدى الشاعر وتصوراتها وشعورها وذلك عبر عملية التبادل بينه وبين الذات، فالمكان هو ضاغط على الذات - مصيغ لها ، وهذه الخبرة تنتشر كل ما يعطيه هذا المحيط لتعيد صياغته وتشكيله من جديد وفقاً لمنطقتها ، في شكل حالات ذهنية وأبعاد تصويرية نفسية ، عبر الصورة واللغة الشعريتين ، ضمن مبدأ الانحراف الذي هو ميزة لغة الشعر مقارنة بلغة الكلام العادي ... )) (٨٤)

ويرتبط المكان بالوجود الانساني علاقة تامة فيتحول المكان في النص الشعري من مجرد مكان جغرافي الى عبء يتحمل حالات نفسية واجتماعية وتاريخية فالامر لايتعلق بوصف المكان وصفاً خارجياً ، بل يقدم فضاء للاحتمالات والدلالات والتخييلات فديناميكية المكان تجعل ذهن القارئ يعيش عبر النص المقروء

مكانه الخاص وعلى ذلك يختلف توظيف الامكنة الجغرافية ، فضلاً عن ذلك رسم جمال الموجودات فيتحول المكان من قطعة جغرافية الى حيز لظهور ذات الشاعر ، وتلك الامكنة التي يعيشها درويش لاتبقي جامدة ولا تكتفي بالاطار الهندسي بل هي امكنة خالدة في الخيال وهي تجسد حالة الشاعر النفسية ومن ثم تقدم صورة ادبية من خلال اللغة يقول الشاعر :

بيروت والياقوت حين يصبح من وهج على ظهر الحمام

حلم سنحمله ، ونحمله متى ، نعلقه على اعناقنا

بيروت زنبقة الحطام

سطوح للكواكب والخيام

قصيدة الحجر ، ارتطام بين قبرتين تضيئان في صدر

سماء مرة جلست على حجر تفكر<sup>(٨٥)</sup>

أما في المجموعة الشعرية ( سرير الغريبة ) يتحول درويش الى كتابة شبه سيرة ذاتية ، وتوليف عناصر من شخصيته مع عناصر من التاريخ الفلسطيني الجماعي ، والحكايات والاساطير والاقتباسات القرآنية والتوراتية التي تعبر عن الاحساس العميق بالمنفى الجماعي والشخصي<sup>(٨٦)</sup> وهذه المجموعة الشعرية كرسها درويش لموضوعة الحب التي ترجع الى مرحلة التفات الشاعر الى شؤون نفسه بوصفه شاعراً وإنساناً ، بعد ان غادر مرحلة البطولة الفعلية او المجازية وانتقل الشاعر الى مرحلة البساطة ومرحلة اليومي والعادي في ظل ظروف الاحتلال ، وقد تعددت الامكنة التي ذكرها درويش ومنها الامكنة التي تتسم بالحميمية والالفة والتواصل ، وهي امكنة احاطته بالمحبة والوئام ، فيتضح من الصورة الشعرية لتلك الاماكن او البلدان بساطتها وجماليتها فضلاً عن التواصل الذي يطبع ذلك المكان الذي يشفه الحب والامان والطمأنينة.

وقد تعرض درويش للمكان الدمشقي ورسم بمخيله الشاعرية واحساسه المرفه ذلك المكان ، فتطالعنا الحياة الدمشقية والمكان الدمشقي بطيورة وازهاره وياسمينه ولياليه القمرية وبيوتاته التي يشفهها الحب والحنان والعطاء والجمال والالفة فيقول في ( طوق الحمامة الدمشقي )



في دمشق

تطير الحمامات

خلف سياج الحرير

اثنتين ...

اثنتين ...

في دمشق :

ارى لغتي كلها

على حبة القمح مكتوبة

بإبرة أنثى

ينقحها جبل الرافدين <sup>(٨٧)</sup>

ولهذه المدينة العريقة تاريخها الحافل بالاحداث ودورها الفاعل في تاريخ العرب في العصور الماضية ،

فيقول :

في دمشق

تطرز اسماء خيل العرب ،

من الجاهلية

حتى القيامة ،

او بعدها

.. بخيوط الذهب

في دمشق :

تسير السماء

على الطرقات القديمة

حافية ، حافية

فما حاجة الشعراء

الى الوحي

والوزن

والقافية ؟ (٨٨)

وفي دمشق العروبة والمجد والجمال والاصالة لايشعر اللاجئ بالاغتراب ولا يراوده ذلك الشعور فيقول  
الشاعر :

في دمشق

ينام الغريب

على ظله واقفاً مثل مئذنة في سرير الابد

لايحن الى بلد

أو أحد .. (٨٩)

ولما يعيش الانسان في مكان أليف او جميل تبقى في ذهنه ذكريات جميلة من ذلك المكان فيميل اليه ويشعر في ذلك المكان نوعاً من الطمأنينة والحماية ، واما سلسلة الاحباطات التي يعانها المرء في مكان معين فإنها تجعل من ذلك المكان مكاناً عدوانياً ويتخذ الانسان من الامكنة موقفاً ايجابياً او سلبياً . وتعد مثل هذه الامكنة في الشعر (( تنويعات متخيلة على بيئات موضوعية خاصة ، يتسامون من خلالها توصيلاً منهم الى صورة اكثر ارضاء واشباعاً لتصوراتهم حول المكان ، محتوية التغيرات التي لايسطيعون احداثها في بنية المكان ، ان الهروب والانسحاب والتراجع الى جغرافيا نفسية أسرة يعبر عن اعتزال الذات للمكان المرفوض او تهريبها من مواجهة التشوهات التي الحقها الواقع التجريبي بصورة المكان الاثير ))(٩٠)

وفي موضع اخر يقول الشاعر :

في دمشق

تداعبني الياسمينه :

لا تبتعد

وامش في اثري

فتغار الحديقة :

لا تقرب

من دم الليل في قمري <sup>(٩١)</sup> .

وفي موضع اخر يقول الشاعر :

في دمشق

تداعبني الياسمينه :

لا تبتعد

وامش في اثري

فتغار الحديقة :

لا تقرب

من دم الليل في قمري <sup>(٩١)</sup>

وتحمل هذه اللوحات الشعرية الدمشقية المعبرة عن لحظات النفس الاكثر اقترانا بالحياة ليستمد من خلالها المكان صلتها الوثقى بالحياة والتجدد ، وتتكاثر الافعال في تلك القصيدة لتمنح المكان ذلك النبض المتجدد والمنفتح على الحياة المسترسلة والمتجددة ، لقد جسد الشاعر ووثق ما يدور بخلده من ذكريات المكان الاليف بمكان واقعي يحمل الدفء والحنان ، فهو أراد ان يظهر المكان المشع بالمحبة والاصالة والابداع ، وقدم درويش دمشق العروبة بصورة شعرية موحية تتفرد بذائقة جمالية ، وظفها الشاعر لتخدم مقصده الشعري .

وهذه التتويجات المكانية جعلت للشاعر حساسية عالية لوصف المدن وسرد ذاكرة الاماكن داخل فلسطين وخارجها ، مما يجعله يصف الحنين بان الرائحة المشتركة التي تتقاسمها المنافي كافة فنقول الشاعر : ((  
المدن رائحة : عكا رائحة اليود البحري والبحارات ، حيفا رائحة الصنوبر ، موسكو رائحة الفودكا على الثلج ...  
بيروت رائحة الشمس والبحر والدخان والليمون. دمشق رائحة الياسمين والفواكه المجففة ، تونس رائحة مسك الليل والملح ، الرباط رائحة الحناء والبخور والعسل))<sup>(٩٢)</sup>

المبحث الثالث

المكان المثالي

في المجموعة الشعرية ( احد عشر كوكبا على آخر المشهد الاندلسي ) التي لايزالها هاجس الاسطورة والتخيل الاسطوري ، الى رواية الحكاية الفلسطينية من خلال رواية حكايات الاخرين ، ومهيئاً محوراً كونياً للتجربة الفلسطينية بشقيها الرمزي والواقعي ، وسيتحضر الشاعر الاندلس وحكاية ( ريتا وسوفو كليس ) والكنعانيين ، يمزج الشاعر من هذه المادة التاريخية - الشخصية صيغة للتعبير غير المباشر عن حكاية الفلسطينيين الخارجين من الاندلس فضلاً عن تصوير الحياة الفلسطينية المعذبة والمقهورة والتي تبحث عن الخلاص<sup>(٩٣)</sup> لقد استمرت مهيمنة ( المكان المثالي ) بالظهور الادبي في عصرنا الحاضر مثل ( الطيبة ) عند عبد الرحمن منيف ( وجيكور ) السياب و ( الاندلس ) لدى محمود درويش وغيرها من الامكنة ذات الطابع اليوتوبي فهذه الامكنة تجسد تصورات مبدعها للمكان فضلاً عن حالات الانقطاع عن المكان الموضوعي<sup>(٩٤)</sup> ان ((اليوتوبيات الادبية تمتلك مرجعية مكانية موضوعية واضحة ، تكون الرؤيا الابداعية التي يقدمها الروائي او الشاعر بمثابة تسام بها وأسطرة لها ،فما كوندو ماركيز وايثاكة هومير ، وطيبة منيف وكنعان درويش وغيرها ، انها تمثل حالة من حالات النفس ، غير انها في الوقت نفسه أمكنة لها تموقعها الموضوعي ، الذي يمكن تبينه بسهولة من خلال استشفاف المكان الموضوعي الاثير لدى المنتج ، فهي بمثابة تنويعات متخيلة على بيانات موضوعية خاصة ، ويتسامون من خلالها توصلاً منهم الى صورة اكثر ارضاء واشباعاً لتصوراتهم حول المكان محتوية التغيرات التي لايسطيعون احداثها في بيئة المكان، ان الهروب الانسحاب التراجع الى جغرافية نفسية اسرة ، يعبر عن اعتزال الذات للمكان المرفوض او تهريبها من مواجهة التشوهات التي الحقها الواقع التجريبي بصورة المكان الاثير ))<sup>(٩٥)</sup> وفي هذه القصيدة ابدى درويش خشيتة على فلسطين من مصير مشابه لمصير الاندلس حيث الاحتلال والظلم والنسيان والرحيل ، وتهبط قيمة الاندلس من ذروة ثقافة كبرى الى الفقدان على صعيد الواقع ، وقسم الشاعر قصيدته الى أحد عشر مقطعاً وكأن كل مقطع يمثل كوكباً وتمثل فيها الاندلس بعداً جمالياً في مخيلة الشاعر العربي منذ القدم وذلك يعني ان الاندلس في الذاكرة الجمعية للعرب هو ( الفردوس المفقود ) ولاسيما المكان الذي احتل المساحة في جغرافية الذاكرة والروح معاً ، لذلك فالمكان الاندلسي يمثل المعادل الموضوعي لفلسطين في

شعر درويش الذي تواسجت نصوصه في حرارة الجرح النازف في وعي الشاعر ، وتتمظهر القصيدة الدرويشية مرسومة على امتداد المكان الفلسطيني ، فهي لاتتمو خارج تضاريسه التي ترحل بها الى آفاق بعيدة، وان عرى ارتباط الشاعر بارضه مهما تفككت في الواقع ، فانها توثق في حالة ذهنية منسجمة وحركة الخيال ابدأ نحو الخارج وبعبارة اخرى ان استراتيجية (( الداخل والخارج تبدأ عند درويش في لحظة الخروج ذاتها وانقطاع العلائق الفعلية بالمكان ، يصبح وجود الوطن وجوداً داخلياً صرفاً تتنقي فيه الحدود بين الماضي والحاضر ، في حين تتوجه المخيلة الشعرية الى زمن يأتي .... ))<sup>(٩٦)</sup> .

وذلك الامر يتصل بالقلق ، اذ ان (( وجود الانسان وجود غير مستقر ، يقلقه دوماً كل تعبير عنه ، في مملكة الخيال ، لا يكاد يوجي بالتعبير واذا بالوجود يحتاج الى تعبير آخر ، قبل ان يتوجب عليه ان يصبح وجوداً لتعبير آخر ))<sup>(٩٧)</sup> .

وبناء القصيدة بهذا الشكل المترابط يدخل ضمن ماسماه ( كمال ابو ديب ) بالقصيدة المعمارية وهي القصيدة التي (( يحدث فيها تشابك عميق على المستوى التصوري بين الشعر وانماط التعبير الفني الاخرى ، او بين الفنون بشكل عام وقد تمثل هذا التشابك في دخول مفاهيم هندسية وموسيقية وتشكيلية في تكوين مفهوم النص وولادة استعارات مشتركة جديدة لتجسيم طبيعة التكوين الفني ، وبين اطراف هذه الاشعارات والمفاهيم واستعارة الحياة العضوية والنسج والشرابين والجسد الواحد والمعمار الانسجام ))<sup>(٩٨)</sup>

ويلاقي درويش ويجاور بين فضاء التاريخ من موقعين ومكانين متباعدين زمانياً وجغرافياً متقاربين ومتجاورين دلالياً وموضوعياً ، لذلك فهو يلاقي بين فضاءين متشابهين ، فضلاً عن توظيف الشاعر لعنصر الخديعة ( الاخوة ) التي تتجسد في قصة يوسف ، والقصيدة موزعة على مقاطع وهي موزعة بين زمانين في صور ومقاطع تمزج المأساتين في مأساة واحدة وزمن الاندلس هو من الماضي وهي مأساة الماضي ، وزمن فلسطين هو زمن الحاضر ، وان (( عالم الذات هو أولاً انعكاس للعالم الموضوعي لان وعي الذات مقتصر على معطيات العالم الموضوعي ))<sup>(٩٩)</sup> والاندلس من النماذج الشعرية الفاعلة بوصفها انجازاً لحضارة المنفى وهو امر جعلها يوتوبيا ، لقد سعى درويش الى جعل المكان الاندلسي جسراً واصلاً بين العلاقات المكانية في القصيدة الشعرية ، وفي فضاءها تتمحور الرموز المكانية الاخرى التي لا يمكن تجاوزها في قراءة نصوص درويش فيقول في المقطع الثاني :

كيف اكتب فوق السحاب وصية أهلي ؟ وأهلي  
يتركون الزمان كما يتركون معاطفهم في البيوت وأهلي  
كلما يبدو قلعة هدموها لكي يرفعوا فوقها  
خيمة للحنين الى أول النخل ، أهلي يخونون أهلي  
في حروب الدفاع عن الملح ، لكن غزناطة من ذهب .  
من حرير الكلام المطرز باللوز ، من فضة الدمع في  
وتر العود ، غزناطة للصعود الكبير الى ذاتها (١٠٠) .  
وفي المقطع الثالث يقول الشاعر :

لي خلف السماء سماء لارجع لكنني  
سأخرج من شجر اللوز قطنا على زيد البحر . مد الغريب  
حاملاً سبعمئة عام من النخيل .مر الغريب  
كي يمر الغريب هناك ، ساخرج بعد قليل

من تجاعيد وقتي غريباً عن الشام والاندلس  
هذه الارض ليست سمائي ، ولكن هذا المساء مسائي  
والمفاتيح لي ، والمآذن لي ، والمصابيح لي ، وأنا

لي ايضاً ، أنا آدم الجنيتين ، فقدتها مرتين (١٠١)

يعبر المقطع الشعري عن الذات المعاصرة التي لم يتبق لها الا هذا المساء الضيق ، ودرويش يقابل  
الماضي ( الاندلس ) بالمكان الحاضر ( فلسطين) ويجاور بين الجنيتين ، جنة آدم عندما طرد بعد خطيئته  
وجنة العرب ( الاندلس ) حينما طردوا منها بعد خطيئتهم مع التاريخ ، ومن مأساة الجنيتين تتراى جنة  
درويش الضمنية المستترة ( فلسطين) كنتيجة مأساوية للمأساتين (١٠٢) ويوحى المكان في شعر درويش  
بتفاعل الذات وموضوعها ، ومدى ارتباط العلاقات الانسانية بالمكان الذي يغدو بدوره منظومة ثقافية ،  
تتعدد فيه الدلالات ، وتوظيف المكان الاندلسي في شعر درويش لايخلو من بصمة طلبية تنشف عن تجربة

ذاتية لاتعادر الخصائص النفسية ، وتغدو الاندلس بوصفها نسقاً دالاً على التجربة الدرويشية التي تحمل صفتين متضادتين ومتلازمتين هما اللذة والالم وهما صفتان مرتبطتان في علاقة الشاعر بالمكان / الام فيقول :

(( وطني يتخذ الشكل التالي : انه سكين يحفر في داخلي فاشعر بالالم واللذة ... ))<sup>(١٠٣)</sup>  
ويكمل الشاعر قصيدته قائلاً:

لا اريد من الحب غير البداية ، يرفو الحمام  
فوق ساحات غرناطتي ثوب هذا النهار  
في الاغاني نوافذ تكفي وتكفي لينفجر الجلنار  
اترك الفلّ في المزهرية ، اترك قلبي الصغير  
في خزانة أُمي ، اترك حلمي ، في الماء يضحك  
اترك الفجر في عسل التين ، اترك يومي وامسي  
في الممر الى ساحة البرتقالة حيث يطير الحمام .

.....  
.....  
.....

لا اريد من الحب غير البداية طار الحمام  
فوق سقف السماء الاخيرة ، طار الحمام وطار  
وقليل من الارض يكفي لكي نلتقي وتدل السلام<sup>(١٠٤)</sup>

لقد وظف درويش الصور الشعرية المستوحاة من الطبيعة وتمثل المكان الامثل والانقى والابهي ، حيث الطفولة والبراءة ( بطيورها وزهورها وسحرها الاخاذ ) لتقف بوجه العقم والموت والمنطق الغابي ، وهناك ارتباط متداخل دلالي وطيد بين مركزيّتين جبارتين للالفة والانتماء المادي والمعنوي اقطارها الارض والام ، وذلك لكونها عالما من الحب والامان ، فاتصاف الارض بالام او مزج ملامحها عبارة عن اجراء لاشعوري بحث ذلك لان الامومة تأتي في مقدمة الدوافع الاولى حسب اهميتها للانسان<sup>(١٠٥)</sup>



وفي المقطوعة السادسة يقول الشاعر :  
والحكايات خفت على درج الليل ، لكن قلبي ثقيل  
فاتركيه هنا حول بيتك يعوي ويبكي الزمان الجميل  
ليس لي وطن غيره في الرحيل اكثر  
افرج الروح من آخر الكلمات أحبك اكثر  
في الرحيل تقود الفراشات ارواحنا في الرحيل  
نتذكر القميص الذي ضاع منا ، وننسى  
تاج ايماننا ؟ (١٠٦)

درويش يعاني الخيبة المريرة بل أنها في منتهى الاسى والانكسار والخذلان والعجز والخوف من الخصم الذي يطمح لطمس الهوية العربية الفلسطينية ، وان الاحساس بضياح وفقدان المكان ، يعطي هذه الصورة المكثفة للارتباط والحب ، لذلك يفعل الشاعر من الحضور الروحي للمكان في ذاته بعد فقدانه ، فهي الرحلة الابدية التي تتعزز الاشياء فيها وتحتل قيمتها اللانهائية في عقل الشاعر ووجدانه . ويمزج الشاعر بين الوطن والاندلس ، ومنها يرسم خطوات رحلته الاليمة وتتمظهر الاندلس في شعر درويش بوصفها اليوتوبيا الضائعة ، ويجسد ذلك المكان حلم يقظة فلسفي وادبي عريق وبوساطة هذه الامكنة ينعم الانسان بالوجود المثالي والعدالة ، والاندلس لدى محمود تجسد حالات انقطاع عن المكان الموضوعي ، فضلاً عن ذلك هي تمثل حالة من حالات النفس ، غير انها في ذات الوقت أمكنة لها تموقعها الموضوعي (١٠٧) .

وفي المقطع الاخير من القصيدة يقول الشاعر :

الكنجات

الكنجات تبكي مع العجر الذاهبين الى

الاندلس

الكنجات تبكي على العرب الخارجين من

الاندلس

الكنجات تبكي على زمن ضاع لايعود

الكمنجات تبكي على وطن ضائع قد يعود  
الكمنجات تحرق غابات ذاك الظلام البعيد البعيد  
الكمجات تدمي المدى وتسم دمي في الوريد  
الكمنجات خيل على وتر من سراب ، وماء يئن  
الكمنجات من الليل المتوحش ينأى ويدنو (١٠٨)

عنوان المقطع ( الكمنجات ) وهي العنوان المقطعي الوحيد الذي ورد اسمه وحيداً ، ويقفل الشاعر القصيدة بهذا المقطع بوصفه تابوتاً للذات الميتة ( الذات العربية ) وذلك يوحي به شكل الكمنجة وفعالها الواصفة ، وهذه النهاية التي اعطاها الشاعر لقصيدته وهي ترجمة نهاية ذات تحتضر ، ولذلك يصور الشاعر ويقف على تلك النهاية المأساوية من خلال آخر مقطع في القصيدة

( الكمنجات ) رمز الندب والبكاء والعيول في نغمتها وما ترمز اليه فضلاً عن دلالة الافعال التي وظفها الشاعر فهي تدل على البكاء واليأس والقنوط والموت - تبكي على وطن ، تبكي مع العجر ، تبكي مع العرب ، تبكي على زمن ، تحرق غابات تدمي المدى ، خيل على وتر من سراب ، حقل من الليل المتوحش ، شكوى الحرير .... - وتمثل الاداة الموسيقية ( الكمنجات ) التي يستحضر الشاعر شكلها ونغمتها وإيقاعها ، شكل تابوت الجسد في رحلته الاخير - الفضاء الجنائزي للذات العربية وسقوط قناعتها وغيابها الكلي عن صنع مجدها وتاريخها المعاصر ، انه فضاء البكاء في جنازة الوطن الميت (١٠٩) .

أنها (( الصور التي تعلن عن نهاية بداية مجد وتآلق وانتصار ولذلك فحينما نعاين الصور بين بداية المقطع ونهايته ، فأننا نجد الشاعر يقف على ذلك التحرك العربي في التاريخ القائم على المد والجزر كسائر الحضارات في العطاء ، أما في نهاية المقطع فأن حركة الذات العربية الان قائمة على الجزر فقط )) (١١٠)

وتطارد مخيلة درويش جدلية الوجود والعدم ، وهو مبعد قسراً عن حرارة المكان الذي ينتمي اليه مشيمياً ، لذلك يرى هذه العلاقة الجدلية بين الانسان والمكان محكومة بثنائية أخرى ذات اعتبار وجودي ايضاً هي ثنائية الحب والكراهية والتي ترتبط بموجبها الخصب واليباب ، والرحيل ، وتتمظهر حالة الاغتراب بوصفها نتيجة حتمية لواقع الشاعر ، ويعطي شعر درويش تصوراً عن تجسد المكان في مخيلته الشعرية ، وتبرز صورة الصراع بين الانا والآخر الذي لايعرف غير لغة الاحتلال ليرسم درويش في المشاهد الشعرية في

ابعادها الواقعية والمتخيلة ، ليضئ أعماق التجارب الانسانية والمشاعر الوجدانية بفيض الالم والامل والحلم بالعودة ان صورة العرب الخارجين من الاندلس في هذه القصيدة (( تمثل كل منها استعارة بدئية ( نمطية ) تتطابق مع صورة الفلسطيني المشرذ المقتلع المرتحل بعيداً عن ارضه .. وهكذا يعيد درويش قراءة تاريخ الاندلس الخارجين من الاندلس حيث يلعب الماضي دوره بوصفه مرآة للحاضر ، وتضئ صورة العرب الخارجين من الاندلس هزيمة الحاضر المدوية ، وتختلط الفاجعة بالامل،

بذكرى الفردوس الاندلسي - الفلسطيني المفقود))<sup>(١١١)</sup>

وان أجمل الرؤى اليوتوبية للمكان هي التي (( تنبثق بتلقائية لا عن تكلف واستعادة لمنجز الاخر ، مزودة بموهبة خلاقة ووعي كافيين لتقديم خطاب قادر على اقناع المتلقي بجدواه))<sup>(١١٢)</sup>

وقد وفق درويش في التعبير عن معاناة شعبة الفلسطيني وهو يعاني بمعزل عن العالم - من عملية تطهير العناصر المادية للمدينة ، وتحويل المدينة من مدينة تاريخية ذات اصالة وعراقة عربية فلسطينية الى مدينة اسرائيلية ، نشاز عن مدن العالم ، حيث تبني وفق الاسس الاستراتيجية الصهيونية العسكرية ،

الخاتمة

١. نجح الشاعر في حشد كل المقومات التي حظي بها في إضفاء نزعة نفسية تتطلق نحو تحقيق الاتحاد الكامل بالمطلق الارضي ، واثبت الشاعر عشقه للمكان روحياً ، والامتزاج الجسدي والروحي معه .
٢. تتعدد الامكنة في شعر درويش وتتنوع فبعضها مدن تاريخية مثل بابل ، سدوم ، وبعضها أماكن محتلة مثل ( يافا ، القدس ) ... الخ وبعضها أماكن تعرضت للخراب والدمار والحروب الاهلية مثل ( بيروت ) ،
٣. اضحت القدس موضوعاً وموتيفاً يتردد ويتكرر في القصيدة الحديثة ، فهي المدينة الخالدة ، وهي الرمز الفلسطيني الذي تستلهم منه القصيدة الابعاد الدينية والتاريخية .
٤. يعد المكان من أكثر القضايا التي أرهقت درويش ؛ لانه الشاعر الذي لامكان له لان وطنه محتل ، ودرويش هو شاعر المكان بامتياز .
٥. امتزج الوطن والذات الشاعرة في جمالية المكان في أشعار درويش بالشكل الأكثر تميزاً ورونقاً وعذوبة .
٦. افاد درويش من التاريخ اليهودي موظفاً شخصيات انبياء وكهنة بني اسرائيل مثل ( اشعيا ) وارميا للتعبير عن تجربة انسانية ترفض الظلم والطغيان .
٧. وظف درويش التناص الديني المستمد من الكتب السماوية الثلاثة : التوراة والانجيل والقرآن الكريم وقد ربط تاريخ القدس بتاريخ الانبياء ودعواتهم الى المحبة والسلام والرحمة .
٨. وظف الشاعر التاريخ العربي والاسلامي للإشارة الى هوية القدس العربية فضلاً عن تجسيد محنة الشعب الفلسطيني واغترابهم الروحي والجسدي .
٩. ركز الشاعر على الهوية الفلسطينية العربية لجميع الأماكن الفلسطينية ولا سيما (القدس) ليقدم رسالة شعرية تؤكد حق العرب الفلسطينيين بوطنهم المغتصب فضلاً عن كشف الزيف الإسرائيلي تجاه حقهم في امتلاك فلسطين

١٠. ذكر الشاعر العديد من الأماكن للدول العربية التي اقام فيها الشاعر مدة من الزمن مثل بيروت ودمشق ولكن الشاعر ركز اهتمامه الشعري تجاه بيروت نتيجة الدمار الوحشي الذي طالها آنذاك .
١١. حدد الشاعر رؤيته الشعرية تجاه الاندلس بوصفها المكان الاثير المفقود الذي خسره العرب فهي تمثل ذلك الضياع الذي تكرر في فلسطين ، ويركز الشاعر على العودة للوطن وان طال الزمن .

الهوامش :

- ١- لسان العرب / جمال الدين محمد بن منظور : م/١١٣ .
- ٢- ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي : ٦٧٢.
- ٣- سورة مريم ، الآية : ١٦ .
- ٤- سورة ق ، الآية : ٤١ .
- ٥- ينظر : مدخل جديد الى الفلسفة / عبد الرحمن بدوي : ١٩٦ .
- ٦- الطبيعة / ارسطو طاليس / تحقيق عبد الرحمن بدوي / ٣١٢ .
- ٧- رسائل الكندي الفلسفية / تحقيق واخراج د. محمد هادي ابو ريده ١٦٧/١ .
- ٨- ينظر : ( نظرية المكان في فلسفة الحسن بن الهيثم الطبيعية ) / نعمة محمد ابراهيم ، مجلة الاداب المستنصرية ، ص٤٥/ع ١٢ لسنة ١٩٨٥ .
- ٩- فلسفة المكان في الشعر العربي / د. حبيب مونسي : ١١ .
- ١٠- انتاج المكان / د. محمد الاسدي : ٢٠ .
- ١١- ينظر : انتاج المكان : ٢٢-٢٤ .
- ١٢- ينظر : محمود درويش في مرحلة النضج والتفوق ( زيتونه المنفى )/ عبد الله رضوان : ٨ .
- ١٣- الرسائل / محمود درويش ، سميع القاسم : ٣٧ .
- ١٤- احبك او لا احبك / محمود درويش : ص٣٨ .
- ١٥- دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ( دراسة في اشكالية التلقي للمكان )/ قادة عقاق : ٢٨٨ .
- ١٦- الاعمال الشعرية الكاملة / درويش : ٥٤٢-٥٤٣ .
- ١٧- ينظر : هكذا تكلم محمود درويش / عبد الاله بلقزيز : ٧٤ .
- ١٨- الاعمال الشعرية الكاملة / محمود درويش ٥٨٧-٥٩١ .
- ١٩- احبك اولاً احبك / محمود درويش ٣٩-٤١ .
- ٢٠- الاعمال الشعرية الكاملة / محمود درويش ٤٧١ .
- ٢١- العهد القديم ( سفر المزامير ) ، المزمور : ١٤٩ .
- ٢٢- ينظر : الرمزية الميثولوجية في شعر محمود درويش / ظافر مقدادي : ٤ .
- ٢٣- المجموعة الشعرية الكاملة / محمود درويش ، ٥١٨ . Almothaqaf.com
- ٢٤- هكذا تكلم محمود درويش : ٩٠ .
- ٢٥- المجموعة الشعرية الكاملة / محمود درويش : ٥٢٠ .
- ٢٦- الشعر الفلسطيني الحديث / خالد علي مصطفى : ٢٦٩ .
- ٢٧- ينظر : هكذا تكلم محمود درويش : ١١٨ .

- ٢٨- مأساة النرجس ملهاة الفضة / محمود درويش : ١ www.darwish foundation, org
- ٢٩- ينظر : مرايا المعنى الشعري : د. رحمن غركان : ١٧٩.
- ٣٠- مرايا المعنى الشعري : ١٧٩
- ٣١- مأساة النرجس ملهاة الفضة : ٨ .
- ٣٢- ينظر : مرايا المعنى الشعري : ١٨٠.
- ٣٣- مأساة النرجس ملهاة الفضة : ١
- ٣٤- مأساة النرجس ملهاة الفضة : ١
- ٣٥- ينظر : مرايا المعنى الشعري : ١٩١.
- ٣٦- ينظر : مرايا المعنى الشعري : ١٩٢-١٩٣ .
- ٣٧- مأساة النرجس ملهات الفضة : ٢
- ٣٨- مأساة النرجس ملهاة الفضة :
- ٣٩- ينظر : مرايا المعنى الشعري : ١٨٧ .
- ٤٠- مأساة النرجس ملهات الفضة : ٤
- ٤١- ينظر : مرايا المعنى الشعري : ١٩١
- ٤٢- مأساة النرجس ملهاة الفضة : ٤
- ٤٣- الرمزية الميثولوجية في شعر محمود درويش والصراع على ذاكرة المكان : ٥
- ٤٤- ينظر : الرمزية الميثولوجية في شعر محمود درويش والصراع على ذاكرة المكان : ٨
- ٤٥- مأساة النرجس / ملهاة الفضة : ١١
- ٤٦- مرايا المعنى الشعري : ٢١٩
- ٤٧- مأساة النرجس : ملهاة الفضة : ٥
- ٤٨- ينظر : مرايا المعنى الشعري : ٢٢٠-٢٢١
- ٤٩- ينظر : جماليات المكان في شعر محمود درويش / محمد ابو حميدة : ٤٧٨، مجلة النجاح للابحاث ( العلوم الانسانية ) م ٢٢ لعام ٢٠٠٨ . www.manshawwi.com
- ٥٠- الاعمال الشعرية الجديدة / محمود درويش : ٤٢.
- ٥١- ينظر : جماليات المكان في شعر درويش : ٤٨٨ .
- ٥٢- ينظر : جماليات المكان في شعر محمود درويش : ٤٧٢ .
- ٥٣- الاعمال الشعرية الجديدة / محمود درويش : ١٢٩ .
- ٥٤- ينظر : جماليات المكان في شعر درويش : ٤٧٤ .
- ٥٥- الاعمال الشعرية الجديدة : ١٥٥ .
- ٥٦- جماليات المكان / غاستون باشلار : ٣٦ .

- ٥٧- الاعمال الشعرية الجديد : ٣٤
- ٥٨- دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر : ٣٠٠.
- ٥٩- ينظر : جماليات المكان في شعر محمود درويش : ٤٨١
- ٦٠- المصدر السابق : ٤٧٠.
- ٦١- الاعمال الشعرية الجديدة : ٥١-٥٢.
- ٦٢- جماليات الحرية في الشعر / د. صلاح فضل : ٢٣ .
- ٦٣- ينظر : هكذا تكلم محمود درويش " ١١٧
- ٦٤- قصيدة مديح الظل العالي : ١٧ www.darwish foundation, org
- ٦٥- مديح الظل العالي : ١٩
- ٦٦- مديح الظل العالي : ٢٠
- ٦٧- ينظر : الخطاب الادبي ورهانات التأويل : ٢٦٣ - ٢٦٤ .
- ٦٨- ينظر " الخطاب الادبي ورهانات التأويل : ٢٥٩
- ٦٩- ينظر : المصدر السابق : ٢٥٨.
- ٧٠- مديح الظل العالي : ٢٠
- ٧١- مديح الظل العالي : ١٦
- ٧٢- الرمزية الميثولوجية في شعر درويش والصراع على ذاكرة المكان : ٣
- ٧٣- دلالة المدينة : ٢٩١
- ٧٤- شئ عن الوطن/ محمود درويش : ٥٧
- ٧٥- مديح الظل العالي : ١٢
- ٧٦- مديح الظل العالي : ١٣
- ٧٧- ينظر : هكذا تكلم محمود درويش : ١٣
- ٧٨- دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر : ٢٦٤ .
- ٧٩- مديح الظل العالي : ١٥
- ٨٠- الخطاب الادبي ورهانات التأويل : ٢٦٤ - ٢٦٥
- ٨١- ينظر : دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر : ٢٩١ .
- ٨٢- دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر : ١٦٧ .
- ٨٣- حصار المدائح البحر / محمود درويش : ١٤٥.
- ٨٤- دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر : ٢٧٠
- ٨٥- مديح الظل العالي : ٢١٧
- ٨٦- ينظر : هكذا تكلم محمود درويش : ١٣٩ .



- ٨٧- سرير الغربية / محمود درويش : ١٢٩- ١٣٠ .
- ٨٨- سرير الغربية : ١٣١ - ١٣٢
- ٨٩- سرير الغربية : ١٣٣
- ٩٠- انتاج المكان : ١٨٦
- ٩١- سرير الغربية : ١٤٠
- ٩٢- في حضرة الغياب / محمود درويش: ٩١ .
- ٩٣- ينظر : هكذا تكلم محمود درويش : ١٣٧ .
- ٩٤- ينظر انتاج المكان ( بين الرؤيا والبيئة والدلالة ) : ١٨٥ .
- ٩٥- انتاج المكان : ١٨٦
- ٩٦- اضاءة النص / اعتدال ال عثمان : ٣٣
- ٩٧- جماليات المكان/ غاستون باشلار " ١٩٣
- ٩٨- شعرية الفضاء التناسي وبيئة التنوع والتقابل / عبد الوهاب ميراوي : ٨
- ٩٩- الفن والادب / ميشال عاصي : ١٩٦
- ١٠٠- الاعمال الشعرية الكاملة / محمود درويش : مج ١-٢/ ٥٥٣ .
- ١٠١- الاعمال الشعرية الكاملة / محمود درويش : مج ١-٢ / ٥٥٤
- ١٠٢- ينظر : شعرية الفضاء التناسي وبيئة التنوع والتقابل : ٢٧٩ .
- ١٠٣- شئ عن الوطن / محمود درويش : ٣٠٢ .
- ١٠٤- الاعمال الشعرية الكاملة/ محمود درويش : مج ١-٢/ ٥٦٢ .
- ١٠٥- ينظر : انتاج المكان : ١٨٩ .
- ١٠٦- الاعمال الشعرية الكاملة / محمود درويش : مج ١-٢/ ٥٥٩ .
- ١٠٧- ينظر : انتاج المكان : ١٨٤- ١٨٦ .
- ١٠٨- الاعمال الشعرية الكاملة / محمود درويش : م ٢/ ٥٦١ .
- ١٠٩- ينظر : شعرية الفضاء التناسي وبيئة التنوع والتقابل : ٢٨٢ - ٢٨٣ .
- ١١٠- المصدر السابق : ٢٨٣ .
- ١١١- هكذا تكلم محمود درويش : ١٣٧- ١٣٨
- ١١٢- انتاج المكان : ٢١٣ .

## المصادر والمراجع

- أ) الكتب
١. القرآن الكريم
٢. العهد القديم (التوراة)
٣. اضاءة النص / اعتدال عثمان / دار الحداثة للطباعة والنشر ، ١٩٩٨
٤. انتاج المكان (بين الرؤيا والبنية والدلالة) د.محمد الاسدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٣ ، ٢٠١٣
٥. جماليات المكان / غاستون باشلار / غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٣
٦. جماليات الحرية في الشعر / د.صلاح فضل ، دار اطلس للنشر ٢٠٠٥
٧. الخطاب الادبي ورهانات التأويل قراءات نصية تداولية حاجية د.نعمان بوقرة ، عالم الكتب الحديث ، اريد الاردن ، ط٢٠١٢
٨. دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر (دراسة في اشكاليةالتلقي للمكان) / قادة عقاق ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠١
٩. رسائل الكندي الفلسفية / تحقيق : د.محمد هادي ، القاهرة ط١ ، ١٩٥٣ .
١٠. الرسائل / محمود درويش ، سميح القاسم ، دار عريسك - حيفا ط٢ ، ١٩٩٠
١١. زيتونة المنفى (دراسات في شعر محمود درويش) عبدالله رضوان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٩٨
١٢. الشعر الفلسطيني الحديث / خالد علي ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٦ .
١٣. شيء عن الوطن / محمود درويش ، دار العودة ، بيروت ط١ ، ١٩٧١
١٤. الطبيعة / ارسطو طاليس ، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة ، القاهرة .
١٥. فلسفة المكان في الشعر العربي / د. حبيب مونسى ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب دمشق .
١٦. الفن والادب (بحث جمالي في الانواع والمدارس الادبية والفنية) ميشال عاصي منشورات المكتب التجاري ، بيروت ط٢ / ١٩٧٠
١٧. في حداثة النص الشعري/علي جعفر العلاق ، دار الشروق للنشر عمان - الاردن ط١، ٢٠٠٣
١٨. في حضرة الغياب / محمود درويش ، رياض الريس بيروت ٢٠٠٦
١٩. لسان العرب / جمال الدين محمد ابن منظور ، دار صادر بيروت ط٤ ، ٢٠٠٥
٢٠. محمود درويش في مرحلة النضج والتفوق / عبد الله رضوان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، عمان ، ١٩٩٨ .
٢١. مدخل جديد الى الفلسفة / عبد الرحمن بدوي ، الكويت ، ١٩٧٥ .
٢٢. مرايا المعنى الشعرية / د. رحمن غركان ، دار صفاء للطباعة - دار الصادق ، الاردن .

٢٣. المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم/ محمد فؤاد ، مطابع الشعب ، القاهرة ، ١٩٨٨ .  
٢٤. هكذا تكلم محمود درويش / تحرير عبد الاله بلقزيز ، مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ، ط١ .

ب- الدواوين والمجاميع الشعرية :

٢٥. أحبك أولاً أحبك ( شعر ) / محمود درويش ، دار العودة ، بيروت ، ط٨ .  
٢٦. الاعمال الشعرية الكاملة / محمود درويش ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت / ط٣ / ١٩٧٣ .  
٢٧. الاعمال الشعرية الكاملة / محمود درويش ، م١/٢ ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، ط٢ / ٢٠٠٠ .  
٢٨. حصار لمداخل البحر (شعر) / محمود درويش ، رياض الريس ، بيروت .  
٢٩. سرير الغريبة ( شعر) محمود درويش ، رياض الريس للكتب ، ط٢ ، ٢٠٠٠ .

ج- الدوريات

٣٠. نظرية المكان في فلسفة الحسن ابن الهيثم الطبيعية ( نعمة محمد ابراهيم ، مجلة آداب المستنصرية  
ع/١٢ لسنة ١٩٨٥ .

د- قاعدة البيانات والانترنت :

- ١- الرمزية الميثولوجية في شعر درويش والصراع على ذاكرة المكان / ظافر مقدادي .ALMOTHAQAF .COM  
٢- جماليات المكان في شعر درويش ، محمد ابو حميدة ، مجلة النجاح للابحاث والعلوم الانسانية ، م١٢ لعام  
٢٠٠٨ .

[WWW.MINSHAWI.COM](http://WWW.MINSHAWI.COM) NADE

- ٣- شعرية الفضاء التناسلي وبنية التنوع والتقابل / عبد الوهاب ميراوي almothakaf.com  
٤- قصيدة بيروت للشاعر محمود درويش /  
www darwish found at ion.org ate mplete  
٥- قصيدة مأساة النرجس ملهاة الفضة /  
wwwdarwish found ation ,org atemplate  
٦- مديح الظل العالي /  
wwwdarwish found ation, org atemplate .



## Conclusion

Le poète Mahmoud Darwish des poètes palestiniens les plus éminents qui accusent leurs cheveux en conjonction place, et reflètent relation solide notifié depuis qu'il a épousé sa famille et est sous l'âge de dix ans, et puis sortir du violeur de la maison dans les années de sa jeunesse, et la relation de Darwish place prépondérante ses interactions au sein du discours poétique, et une place dans les cheveux Darwish comme une question humanitaire.